مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية

فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

أغراض ومناسبات سورة الروم في التحرير والتنوير مقارنة مع نظرية التناظر: دراسة تحليلية

د. ندين مصطفى السليمي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية
المملكة العربية السعودية

مجلس النشر العلمي

جامعة الكويت
KUWAIT UNIVERSITY

P-ISSN: 1029-8908

E-ISSN: 2960-1479

العدد ١٤٤ - السنة ٤١

رمضان ١٤٤٧ هـ - مارس ٢٠٢٦م

البحث الأول

أغراض ومناسبات سورة الروم في التحرير والتنوير مقارنة مع نظرية التناظر: دراسة تحليلية

الدكتور / ندين مصطفى السليمي

أستاذ مشارك بقسم المواد العامة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،

جامعة الملك عبد العزيز - جدة - المملكة العربية السعودية

للاستشهاد:

السليمي، ندين مصطفى. (2026). أغراض ومناسبات سورة الروم في التحرير والتنوير مقارنة مع نظرية التناظر: دراسة تحليلية. *مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، 41*(144)، 11-53.

https://doi.org/10.34120/jsis.v41i144.3701

To cite:

Alsulaimi, N. M. (2026). Surah al-Rum's purposes and correlations in Al-Tahrir w al-Tanwir in comparison with Ring-Theory: An analysis study. *Journal of Sharia and Islamic Studies*, *41*(144), 11-53.

https://doi.org/10.34120/jsis.v41i144.3701

Doi: https://doi.org/10.34120/jsis.v41i144.3701

أغراض ومناسبات سورة الروم في التحرير والتنوير مقارنة مع نظرية التناظر: دراسة تحليلية

د. ندين مصطفى السليمي*

تاريخ الاستلام: مارس/2025 **تاريخ الإجازة: أبريل/2025**

ملخص البحث

فكرة البحث بيان دور بلاغة القرآن للكشف عن نظمه من خلال التحرير والتنوير الذي يعرض المناسبات بطريقة أفقية، وتظهر **أهمية البحث** في دراسة أغراض السورة ومناسباتها في التحرير حيث إنها أعمق من كونها سرد لموضوعات السورة أو بيان ارتباط الآيات موضوعيًّا، بل إن الانتقادات الموجهة إلى التفاسير من أنها تُغفل التركيب والسياق ولا تكشف عن النظم هي غير دقيقة تمامًا؛ وتكمن **إشكالية البحث** في الذي تكشفه البلاغة العربية من نظم السورة خاصة مع ظهور طرق أدبية غربية مثل قواعد البلاغة السامية (نظرية التناظر) التي أظهرت نتائج إيجابية في تطبيقها على القرآن؛ **وهدف البحث** تحليل أغراض سورة الروم والمناسبات بين آياتها في التحرير للكشف عن فهم الطاهر لنظمها، واستخدامه اللغة والبلاغة لبيان ترابطها، مع بيان بعض أوجه التشابه والاختلاف بين بلاغة التحرير وقواعد التناظر، وتعرض الدراسة تقسيم كويبرس وبولين للسورة وتقارن الأول بما جاء في التحرير. وتستخدم الدراسةُ **المنهجَ** الوصفيَّ التحليليَّ الاستنباطيَّ، **وتخلص نتائج البحث** إلى أن الطاهر يعتبر التكرار (النظائر) وتشابه الألفاظ والموضوعات والأساليب إشارات على النظم وعلامات على ابتداء الغرض والعودة إليه في السياق، كما تُبنى المناسبات عنده على البلاغة والنحو والروابط الموضوعية، **ويتبين للباحث** أنه يظهر من خلالها شيء من تركيب الآيات خاصة التناظر المتوازي، والطاهر لا يقسّم الآيات إلى مقاطع، لكن الأغراض والمناسبات المذكورة بالمقارنة مع نتائج التقسيم التناظري تبيّن فعالية البلاغة العربية كأداة رئيسة للكشف عن أغراض النظم وتركيبها.

الكلمات المفتاحية: نظم القرآن؛ البلاغة السامية؛ التناظر؛ نظرية الحلقة.

(*) **د. ندين مصطفى السليمي**: تحمل شهادة الدكتوراة في الإلهيات والدراسات الدينية من الجامعة الكاثوليكية الأمريكية، عام ٢٠١٨، والماجستير في التفسير وعلوم القرآن من جامعة أم القرى، عام ٢٠١٠، والبكالوريوس في الدراسات الإسلامية، عام ٢٠٠٦. تعمل أستاذًا مشاركًا في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز منذ عام ٢٠١٨. ولديها ثلاثة مؤلفات، ونشرت ثمانية مقالات علمية محكمة، وشاركت في كتابة فصل في كتاب باللغة الانجليزية.

الاهتمامات البحثية: نظم القرآن، التفسير الموضوعي، مناهج الغربيين في قراءة القرآن.

البريد الإلكتروني: nalsulaimi@kau.edu.sa

حقوق الطبع والنشر محفوظة - مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

Surah al-Rum's Purposes and Correlations in Al-Tahrir w al-Tanwir in Comparison with Ring-Theory: An Analysis Study

*Dr. Nadeen Mustafa Alsulaimi**

Submitted Date: MAR. 2025 **Accepted Date: APR. 2025**

Abstract

The research's idea is to demonstrate the role of Quranic rhetoric in revealing its nazm through Al-Tahrir w al-Tanwir which displays the correlations in a linear way. **The research's significance** appears in examining al-Tahrir's introductions and considering the surah's purposes and correlations which are more than listing the themes and linking the verses thematically. Criticisms to Tafsirs with ignoring structure and context and revealing nothing about nazm are not totally accurate. **The research's question** relates to applying Semitic Rhetoric (Ring-theory) in explaining the Qur'an's nazm - which has shown positive results – that prompts further research into exegesis concerned with rhetoric and wonders about Arabic rhetoric's role in showing nazm. **The study aims** to analyze Q 30's purposes and correlations in al-Tahrir to understand how al-Tahir recognizes its nazm and uses rhetorical styles to link it. This study illustrates some similarities and differences between the rhetoric in Al-Tahrir and Ring-theory. It presents Cuypers' and Bollen's symmetrical analyses and compares the first with al-Tahrir. **The method** is descriptive, analytical, and deductive. **In conclusion**, al-Tahir considers repetition and similar words, themes, and styles as indicators of the order and

(*) Associate Professor, The Quran and Sunnah/ Tafsir and Quranic Sciences, General Courses Department, School of Humanities and Arts, King Abdulaziz University, Jeddah, KSA.
E-mail: nalsulaimi@kau.edu.sa

All Rights Reserved - Academic Publication Council - Kuwait University

signs of the beginning of a purpose and the return to it in the context. For him, the correlations are established based on rhetoric, grammar, and thematic links. They show some of the verses' structure, particularly parallel symmetry. **The researcher** finds that although al-Tahir does not divide the surah into parts, the purposes and correlations in comparison with the results of Ring-theory's division demonstrate the efficiency of Arabic rhetoric as a main tool for revealing the purposes of nazm and structure..

***Keywords*:** Quran nazm; Semitic Rhetoric; Symmetry; ring-theory.

مقدمة

يُعَدّ الطاهر ابن عاشور من المفسرين الذين اهتموا بعلم المناسبات بين آيات السورة الواحدة مع بيان أغراضها، وقد جاء موضوع "ترتيب الآي" مفصلاً في مقدمته الثامنة، ويعتقد الطاهر أن ترتيب الآيات ووجود المناسبة بين الآية وما بعدها سواء في الموضوع أو التنقل بين الأغراض يُعدّ من النظم واتصاله رغم اختلاف زمن النزول وأساليب الربط،(١) وإن اهتمام الطاهر بذكر أغراض السورة -كما يقول- يظهر فيه تناسق آياتها واتصالها وجمال ترابط فقراتها.(٢) ولكنّ أغلب مَنْ درسوا تفسير التحرير والتنوير سواء من المسلمين أو الغربيين ذكروا بأنه لا يختلف عن التفاسير الكلاسيكية(٣) في طريقة تفسير الآيات خطيًّا أي أفقيًّا (آية آية)،(٤) وأنه لا يعطي تقسيمًا للآيات إلى مقاطع مكتملة المعنى كما يحدث في التفاسير المعاصرة الموضوعية، وأن سرد الأغراض في بداية تفسير كل سورة ما هو إلا سرد لموضوعاتها حسب ترتيب الظهور في السورة، إلا أن اعتبار ما ذكره الطاهر في مقدماته مهمٌّ لفهم منهجيته حول نظم السورة وبيان ترابط آياتها، وتوليده للمناسبات بينها، وكشفه لأساليب البلاغة والتراكيب البلاغية.

لقد كانت مساهمات الرازي والبقاعي في إيضاح المناسبات غير كافية أحيانًا في نظر ابن عاشور؛ لذا عرض في تفسيره لإيضاحها والإتيان بالجديد فيها.(٥) ولقد استعمل ابن عاشور القرآن نفسه ليكون سياقًا لإنشاء المناسبات، مراعيًا القواعد النحوية، وبناء الجمل،

---

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، ت. د.)، د. ط.، ج: ١، ص: ٧٩-٨٠.

(٢) المرجع السابق، ج: ١، ص: ٨.

(٣) تشرح هادية مبارك أن التحرير والتنوير يجمع بين تفاسير التراث الإسلامي (الكلاسيكية) من حيث الاهتمام باللغويات والتفسير بالرأي وبين التفاسير الحداثية التي ظهرت في القرن العشرين، وتضيف بأن التحرير أتى بمعان جديدة من خلال إحياء المعاني الموجودة في التفاسير الكلاسيكية، وجعله اللغة الأداة الرئيسة للمعاني (انظر: Change Through Continuity: A Case Study of Q. 4:34 in Ibn ‘Āshūr’s al-Taḥrīr wa’l-tanwīr,” Hadia Mubarak, Journal of Qur’anic Studies, 20.1 (2018), p. 3-4, 7).

(٤) Ibid., p. 8-9.

(٥) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١: ٨.

وتقطيع الكلام،[١] فكان اعتماده في إيجاد المناسبات ليس مبنيًّا على الربط بين الموضوعات فقط، بل على اللغة والدلالات وسياق النص نفسه. إن استخدام الطاهر للّغة والنحو ما هو إلا أداة غير خاضعة للآراء الشخصية، وإن وجود هذه الأدوات اللغوية والبلاغية يجعل معاني القرآن خالدة غير محددة بزمان أو مكان.[٢] ولقد أشار الطاهر في مقدمته العاشرة إلى إبداع القرآن البلاغي الذي يحتاج لمزيد كشف، واختلاف نظمه عن النظم لدى العرب وطريقتهم القديمة في التركيب وتكرارهم لها، في حين أن القرآن ليس بشعر ولا كلام خطابي بل أسلوبه أقرب إلى النثر؛[٣] لأنه جاء ليكون المقصود منه الحفظ والتلاوة،[٤] فكان نظمه مختلفًا مبتكرًا عن أساليب العرب السابقة.[٥] ومِن ذلك ما ذكره في "مبتكرات القرآن"[٦] من فكرة "التقسيم والتسوير"[٧] والتي هي من سنن القرآن التي لم تكن في كلام العرب.[٨] وكذلك انتقال القرآن من غرض إلى غرض، وأنه من أساليبه المعتادة، وقد أطلق عليه الطاهر لفظ "فن"، وأن هذا الانتقال يحدث بأساليب بلاغية إلى أن يعود إلى المقصد.[٩] (تم نقل هذا المقطع كاملاً من أهمية البحث إلى هنا)

---

(١) "Change Through Continuity" , Hadia Mubarak, p. 9.

(٢) Ibid., p. 9.

(٣) المرجع السابق، ج: ١، ص: ١١٣-١١٥.

(٤) المرجع السابق، ج: ١، ص: ١١٠؛ ١٢٠.

(٥) المرجع السابق، ج: ١، ص: ١٢٠.

(٦) عدّ الدكتور عماد الراعوش ٢٨ مثالاً لما أسماه الطاهر "مبتكرات القرآن" وهي كما يشرح الراعوش ما تفرّد به القرآن من النظم والأساليب والألفاظ والمعاني. (انظر: مبتكرات القرآن الكريم عند ابن عاشور دراسة نقدية مقارنة، عماد الراعوش، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، السنة السادسة، العدد ١٢، ١٤٣٨هـ، ص: ٧٠-٧١).

(٧) أي "طريقة التبويب والتصنيف" كما يشرح الطاهر.

(٨) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: ١، ص: ١٢٠.

(٩) المرجع السابق، ج: ١، ص: ١١٦. ويلفت ابن عاشور النظر إلى ما قاله الزمخشري والرازي عن عادات القرآن فيما يخص التضاد، ويستشهد بقول الرازي حول عادة القرآن في ذكر الأحكام ثم إتباعها بالحديث عن الله أو الرسل أو اليوم الآخر تأكيدًا لما تقرر سابقًا من أحكام ذُكرتْ (انظر: المرجع السابق، ج: ١، ص: ١٢٥).

أهمية البحث:

لقد شاع في الدراسات الغربية الأدبية الاهتمام بنظم القرآن وترتيب الآيات لمعرفة طريقة التركيب، منها ما قام به ميشيل كويبرس[١] في دراسته لعدد من السور المكية والمدنية وتطبيقه قواعد البلاغة السامية (نظرية التناظر)، والتي تعتمد على تقسيم النص إلى قسمين كبيرين متناظرين، وأن تركيب النص يكون: إما متوازيًا (أ ب / أ' ب') أو معكوسًا (أ ب/ ب' أ')، أو أحدهما مع محور (أ ب / م / أ' ب')، (أ ب / م / ب' أ').[٢] إن كويبرس يزعم أن قراءته للكتب المقدسة قد ساهمت في مساعدته على فهم تركيب ومعاني القرآن،[٣] ويذكر أن التفاسير انصبت على دراسة الجمل لا النظم،[٤] وركّزت على الأساليب البلاغية كالاستعارة والمجاز وغيرهما،[٥] ويقول بأنها تأثرت بالبلاغة اليونانية الخطية في إيجاد المناسبات مع ملاحظة المفسرين للنظائر والتكرار والتضاد، ولكن تفاسيرهم لا تبيّن كيف انتظم النص،[٦] وفي حين أن معظم النظريات المتعلقة باكتشاف نظم القرآن وتقسيم السور إلى مقاطع وتحديد موضوعها الرئيس قد اعتمدت على الروابط الموضوعية

(١) ميشيل كويبرس Michel Cuypers باحث بلجيكي ورجل دين كاثوليكي، عضو في المعهد الدومينكي للدراسات الشرقية (IDEO) في القاهرة حيث يعيش حاليًا، حصل على الدكتوراه في الأدب الفارسي من جامعة طهران عام ١٩٨٢، له عدد من الأعمال المتعلقة بتركيب القرآن، من أشهرها كتابه عن سورة المائدة(Le Festin. Une lecture de la sourate al-Mā'ida (Paris: Lethielleux والذي صدر عام ٢٠٠٧، ونال عنه جائزة الكتاب من وزارة الثقافة في إيران عام ٢٠٠٩. لمزيد من المعلومات يمكن زيارة الرابط: https://www.ideo-cairo.org/en/members-en/michel-cuypers-p-f-j-2/، الإطلاع ٧ ابريل ٢٠٢٥، الساعة ١٠ ص. وتوجد كذلك ترجمة لكويبرس في: ميشيل كويبرس، البلاغة السامية في القرآن، ترجمة: خليل اليماني، https://tafsir.net/translation/45/al-blaght-as-samy-yat-fy-al-qr-aan، الاطلاع ٢٦ مايو ٢٠٢٤، الساعة ٩م، ص: ٢.

(٢) Cuypers, Michel, The Banquet: A Reading of the Fifth Sura of the Qur'an (Miami: Convivium, 2009), p. 48.

(٣) الكتاب المقدس والقرآن نسق أدبي واحد، ميشيل كويبرس، ترجمة: عبير عدلي، https://tafsir.net/translation/46/al-ktab-al-mqds-walqr-aan-nsq-adby-wahd، الاطلاع ٢٦ مايو ٢٠٢٤، ١١م، ص: ٦.

(٤) Cuypers, Michel, The Composition of the Quran, trans. by Jerry Ryan, (New York: Bloomsbury Academic, 2015), p. 2.

(٥) Ibid., p. vii.

(٦) Ibid., p. 2.

التي يراها المفسر لا على بنية النص كما يقول كويبرس؛[١] لذلك اقترح تطبيق قواعد البلاغة السامية التي طُبقت على الكتب المقدسة، وبرّر ذلك بأسباب عديدة، منها: أن اللغة العربية من اللغات السامية،[٢] وأن تطبيق هذه القواعد على سور القرآن قد تكلل بالنجاح.[٣]

أسئلة البحث:

من أجل هذه الأسباب التي ذكرها كويبرس، فإن الباحث يتساءل: هل الكشف عن البلاغة العربية في القرآن لا يُظهر طريقة النظم القرآني على مستوى الآية ومستوى السورة؟ وهل وُظفت البلاغة العربية في التحرير والتنوير لبيان طريقة النظم والتركيب؟ وهل يسير التحرير والتنوير دومًا بطريقة خطية فيما يخص الأغراض والمناسبات؟ وكيف تؤثر النظائر في عرض الطاهر لأغراض السورة؟ وهل يمكن القول بوجود تشابه ما مع نظرية التناظر؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يلي:

١ - تسليط الضوء على ضرورة دراسة نظم القرآن من خلال اللغة العربية وبلاغة القرآن نفسه.

٢ - الكشف عن علاقة أغراض السورة والمناسبات التي يذكرها ابن عاشور بالنظم.

٣ - بيان التشابه والاختلاف بين البلاغة في التحرير والتنوير وبين نظرية التناظر.

الدراسات السابقة:

إن كثيرًا من الدراسات التي اهتمت بالتحرير والتنوير تطرح مسائل بلاغية مختلفة أو منهج ابن عاشور في تفسيره أو غيرهما، وانفردت دراسات أخرى في مناقشة الجهود العديدة المتعلقة بنظم القرآن، ومن الدراسات التي لها علاقة بموضوع البحث ما يلي:

---

(١) The Banquet, Michel Cuypers, 502; The Composition of the Quran, Michel Cuypers, p. 3.

(٢) The Banquet, Michel Cuypers, p. 474.

(٣) The Composition of the Quran, Michel Cuypers, p. viii-ix, p. 177; The Banquet, Michel Cuypers, p. 29.

١ - حرر د. مصطفى فاتيحي مقالات معنونة بـ "مراعاة التركيب وأثره في بيان انسجام نظم القرآن- ابن عاشور أنموذجًا"، ناقشت المقالة الأولى أثر التركيب عند البلاغيين على المناسبة والنظم واعتناء الطاهر بهذا في تفسيره،(١) واعتنت دراسته الثانية ببيان الاستئناف البياني وإظهار تماسك النظم مع الانتقال في الأغراض وتحديد أداة لفهم المعاني من السياق،(٢) ويذكر فاتيحي أن الأغراض والمناسبات ومبتكرات القرآن وعاداته ومقاصده وغيرها التي بيّنها ابن عاشور تصب في بوتقة الفهم وتحسين أدواته.(٣) لكن هذه المقالة تقتصر على نماذج متفرقة لمواضع قد لا يظهر فيها اتصال النص، ولم تتناول سورة بعينها بكل أجزائها للربط بين الأساليب البلاغية وأغراض السورة ومناسباتها في تحديد نظم السورة. وناقش فاتيحي في مقالته الثالثة أثر التركيب البياني كالجمل المعترضة في إيصال أغراض القرآن ورسائله،(٤) وهو ما سيظهر في هذا البحث عند تحليل السورة المختارة.

٢ - ناقش خليل اليماني في مقالته "دراسة نظم القرآن: قراءة في المنجز وآفاق الاشتغال، مع طرح فرضية للنظم القرآني" جهود الجرجاني غير المكتملة -على حد تعبيره- في كشف نظم القرآن، وذكر أن فهم الجرجاني للنظم ارتبط بالنحو وجزيئات الكلام لا بنائه.(٥) ولم تتناول دراسة اليماني تفسير التحرير والتنوير، ولكنه عرض أشهر الجهود السابقة في الكشف عن النظم، وتساءل عن غياب نظرية تشرح نظم القرآن للرد على الطاعنين في إعجازه، وتناول مفهوم عبد الحميد الفراهي ونقده للبلاغة

(١) مراعاة التركيب وأثره في بيان انسجام نظم القرآن- ابن عاشور أنموذجًا ١-٣، مصطفى فاتيحي، https://tafsir.net/article/5268.pdf، الاطلاع ٢٦ مايو ٢٠٢٤، الساعة ٩ م، ص: ١-١٨.

(٢) مراعاة التركيب وأثره في بيان انسجام نظم القرآن- ابن عاشور أنموذجًا ٢-٣، مصطفى فاتيحي، https://tafsir.net/article/5270.pdf، الاطلاع ٢٦ مايو ٢٠٢٤، الساعة ٩ م، ص: ١-١٧.

(٣) المرجع السابق، ص: ٥.

(٤) مراعاة التركيب وأثره في بيان انسجام نظم القرآن- ابن عاشور أنموذجًا ٣-٣، مصطفى فاتيحي، https://tafsir.net/article/5272.pdf، الاطلاع ٢٦ مايو ٢٠٢٤، الساعة ٩م، ص: ١-٢٢.

(٥) دراسة نظم القرآن: قراءة في المنجز وآفاق الاشتغال، مع طرح فرضية للنظم القرآني، خليل محمود اليماني، ٢٠٢٠، https://tafsir.net/research/43/drast-nazm-al-qr-aan-qra-at-fy-al-mnjz-w-aafaq-al-ashtghal-m-trh-frdyt-lln-nazm-al-qr-aany، الاطلاع ٢٦ مايو ٢٠٢٤، الساعة ١٠م، ص: ٢٨، ص: ٣١.

اليونانية، وكونه قد طرح فهمًا للنظم يجدر البحث فيه والانطلاق منه، وناقش منهجية ميشيل كويبرس واستخدامه البلاغة السامية وكيفية الاستفادة من أعماله التي تكشف صور التركيب لتقديم نظرية حول النظم القرآني.[١] "صور التركيب" كما يقول اليماني لا تشبه "طريقة النظم"، وأنه يمكن الاستفادة من طرح كويبرس لهذه الصور في تكوين نظرية للنظم القرآني.[٢] ويخلص اليماني إلى سرد عدد من النقاط التي تبين أن نَوعَي البلاغة (التركيبية والخطية) كان معروفًا عند العرب قبل طغيان أحدهما على الآخر، وأن الدمج بين النوعين في القرآن موجود، وهذا لا يعني أن نظم القرآن تابع فقط للبلاغة السامية كما يكشف كويبرس، بل يحتوي على صور تركيبية كشفتها البلاغة السامية كما ظهر في بعض الأحاديث.[٣] وهذا البحث قد استفاد من هذه الدراسة في الجمع بين جهود الطاهر وصور التركيب التي تظهر عبر التناظر (أو البلاغة التركيبية) كما سيأتي.

إن اختفاء دراسة البلاغة التركيبية يمكن فهمه وتبريره ليس فقط بسبب التأثر بالبلاغة اليونانية كما يقول كويبرس؛[٤] بل لأن أساس البلاغة العربية ارتبط بالقرآن الذي هو قريب من النثر في نظمه الخطيّ مع سيادة هذا الطابع حتى في الشعر، وعدم دراسة المهتمين بخروج القرآن عن قواعد النظم الخطي، مع الغفلة عن دراسة تركيب الشعر العربي قبل نزول القرآن، ويضيف اليماني بأن عدم وجود التركيز على التركيب في البلاغة العربية كان من أسبابه انصباب البلاغة اليونانية على الأسلوب الخطي وتأثيرها على غيرها.[٥] وقد تناول

(١) المرجع السابق، ص: ٦٧-٦٨.

(٢) المرجع السابق، ص: ٦٨.

(٣) المرجع السابق، ص: ٩١-٩٣. ويذكر جورج آرتشر أن النصوص الشفهية البليغة غير محتاجة إلى نصوص كتابية توضح طريقة تركيبها وأسس بلاغتها. (انظر:

Archer, George, A Place Between Two Places: The Qur'ānic Barzakh (Piscataway, NJ: Gorgias Press, 2017), p.104).

(٤) يذكر نيكولاي سيناي عند مراجعته لأعمال كويبرس أن الكتابة العربية ما بعد القرآن لا يوجد فيها على الأغلب الأسلوب التناظري، وأن كويبرس أوضح أن السبب هو التأثر بالبلاغة اليونانية. (انظر:

Review Essay: Going Round in Circles, Nicolai Sinai, Journal of Qur'anic Studies, 19.2 (2017), p. 109).

(٥) دراسة نظم القرآن، خليل اليماني، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص: ٨٧-٩١.

عدد من الباحثين تطبيق هذه النظرية على السور القرآنية، وخلصوا إلى كونها وسيلة للقراءة واستنباط المناسبات، وليس بأنها الطريقة التي بُني عليها النص في الأساس.[١]

ما يضيفه البحث:

إن البلاغة اليونانية الخطية على حد تعبير كويبرس واعتبار التفاسير قد سارت على هذا المنهج لفهم نظم القرآن ليس اعتبارًا دقيقًا، حتى أن الفراهي نفسه (وقبله برهان الدين البقاعي) قد لاحظ أن النظم القرآني ليس خطيًّا بشكل مستقيم، بل فيه من التشجيرات ("الشجرة والدوائر" بتعبير البقاعي)[٢].[٣] وقد لاحظ الفراهي[٤] التركيب مع المحور والتركيب المعكوس في الآيات القرآنية وسماه بـ "الحلقة"، وهو كثير في القرآن.[٥] والبحث حول فهم ابن عاشور للنظم وترتيب الآيات والمناسبات وأغراض السورة مع مراعاة نظرية التناظر يبين ما يلي:

١ - إن التحرير والتنوير يظهر فيه مفهوم التناظر (أو البلاغة التركيبية) بشكل ما أو تقسيم السورة لمقاطع مرتبة ومركبة بشكل بلاغي حول أغراض النظم، وإن لم يذكر الطاهر موضوعًا رئيسًا للسورة قبل تفسيرها أو لم يقسمها إلى مقاطع.

٢ - بيان أن القاسم المشترك الأكبر بين نظرية التناظر والنظائر التي يلاحظها الطاهر هو التكرار في السياق، وقد بيّن أثره على النظم والمعنى في مواضعه عند ذكره المناسبات.

---

(١) منهج البلاغة السامية في دراسة بنية القرآن الكريم؛ دراسة وصفية نقدية، محمد يسلم المجود، https://tafsir.net/research/41/mnhj-al-blaght-as-samy-yt-fy-drast-bnyt-al-qr-aan-al-krym-drast-wsfyt-nqdyh، الاطلاع ٢٦ مايو ٢٠٢٤، الساعة ٩ م، ص: ٣٧؛ A Place Between Two Places, George Archer, p. 102, p. 105.

(٢) البقاعي، إبراهيم بن عمر، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تقديم وتحقيق: عبد السميع محمد أحمد حسنين، (السعودية- الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٨٧)، ط ١، ج: ١، ص: ١٤٩.

(٣) دراسة نظم القرآن، خليل اليماني، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص: ٦٣، هامش ٢.

(٤) توجد دراسات اهتمت بالمقارنة بين البلاغة السامية ونظرية الفراهي، منها: دراسة نظم القرآن، خليل اليماني، ص: ٥٤، ص: ٦٣؛ منهج البلاغة السامية في دراسة بنية القرآن الكريم، محمد يسلم المجود، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص: ٥٥-٦٤.

(٥) الفراهي، عبد الحميد، دلائل النظام (الهند-اعظم كره يو بي: المطبعة الحميدية -مدرسة الإصلاح، ١٣٨٨هـ)، ، ط ١، ص: ٥٤؛ دراسة نظم القرآن، خليل اليماني، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص: ٧٤، هامش ٣.

٣ - إن أغراض السورة والمناسبات تعكس فهم الطاهر للنظم، وقد لا يتبين بسهولة في السور الطويلة التي احتوت موضوعات كثيرة مما يتطلب مزيد بحث وتأمل.

حدود البحث:

هذه الدراسة تبحث في أوجه التشابه والاختلاف بين منهج ابن عاشور في تحديد أغراض السورة والمناسبات وبين نظرية التناظر من خلال سورة الروم، ومدى تقارب ما تُظهره البلاغة العربية مع ما تكشفه نظرية التناظر من صور تركيبية. ولقد تم اختيار سورة الروم لوجود سبب نزول لها، واستخدام الطاهر له كأداة تفسيرية وغرض من أغراض السورة، ولوضوح الآيات المتكررة فيها (والتي هي معيار أساسي في نظرية التناظر) وملاحظة الطاهر لها.

منهج البحث:

واعتمدتْ هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الاستنباطي.

خطة البحث:

ولقد تم تقسيم البحث كما يلي:

- المبحث الأول: التحرير والتنوير ونظرية التناظر بين التشابه والاختلاف
- المبحث الثاني: الأغراض والمناسبات بين آيات سورة الروم في التحرير والتنوير
- المبحث الثالث: التقسيم التناظري لسورة الروم ومقارنته مع التحرير والتنوير

وينتهي البحث بخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: التحرير والتنوير ونظرية التناظر بين التشابه والاختلاف

هذا المبحث يسلط الضوء على منهجية التحرير والتنوير بشكل عام فيما يخص النظم والمناسبات، وماهية الاعتبارات التي شرحها الطاهر في مقدمته وتتقاطع مع قواعد نظرية التناظر أو تختلف معها. ولفهم ماهية التشابه والاختلاف بين منهج التحرير ونظرية التناظر،(١) يجدر إيضاح منظور ابن عاشور حول العلاقة بين النظم والبلاغة، حيث يذكر ابن عاشور أن التحدي بالقرآن يرجع إلى أن نظم الآيات القرآنية في مجموعها في السورة الواحدة مهما قصرت قد صيغت لغرض من الفاتحة إلى الخاتمة، ويتبع ابن عاشور شرف الدين الطيبي في أن التحدي كان واقعًا بالسورة وليس بالآيات بسبب وجود نظم للكلام تتنقل فيه الأغراض ثم تعود إلى غرض سابق، حيث يقول الطاهر: "من أفانين البلاغة ما مرجعه إلى مجموع نظم الكلام وصوغه بسبب الغرض الذي سيق فيه من فواتح الكلام وخواتمه، وانتقال الأغراض، والرجوع إلى الغرض، وفنون الفصل، والإيجاز والإطناب، والاستطراد والاعتراض".(٢) وهنا يجعل الطاهر نظم الكلام على غرض فنًّا بلاغيًّا، وإن هذا الاعتقاد عند الطاهر قد جعل إعجاز القرآن في ثلاثة أوجه: أولًا: وجود "كيفيات" في نظم القرآن لا تضاهيها بلاغة أي كلام عربي، ثانيًا: إبداع القرآن في إيجاد أفانين في النظم من داخل اللغة العربية لم تعهدها العرب، وأخيرًا وجود المعاني "الحِكْمية" وغيرها من الآيات التي تخاطب العقل أو تحمل حقائق علمية اكتُشفت لاحقًا.(٣) وهذه الأوجه الثلاثة توضح أن الطاهر قد بنى فهمه للسورة وفقًا لوجود صور بلاغية للنظم وأساليب عربية جديدة مع

(١) يعتمد التقسيم التناظري أو نظرية التناظر على تقسيم النص من الوحدات الأصغر أي من الجملة المكونة من عنصرين أو ثلاثة إلى الأكبر كالجزء والمقطع والسلسلة والقسم ثم النص كاملًا، وأشكال التناظر الثلاثة (التوازي، المعكوس، المحوري) توجد في كل مستويات النص الصغيرة والكبيرة كما يقول كويبرس (The Composition of the Quran, Michel Cuypers, p. ٨). وقد وضع لوند Lund خمس قواعد للتناظر استخدمها كويبرس على السور القرآنية، ويمكن الاطلاع عليها في كتابه عن سورة المائدة (انظر: The Banquet, Michel Cuypers, p. ٣٥-٣٦).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: ١، ص: ١٠٤.

(٣) المرجع السابق، ج: ١، ص: ١٠٤.

ما تحمله من معانٍ غاية في الحكمة والمعرفة الحديثة، وأن استنباطه لهذه الأساليب كان من القرآن نفسه وقواعد اللغة العربية، وبالتالي تتبين طريقة النظم من النص نفسه وليس من خارجه، وإن كانت لغة القرآن تنتمي إلى اللغات السامية.

ورغم استفادة ابن عاشور من جهود الجرجاني وغيره من السابقين، فقد كان تركيز الطاهر ليس منصبًّا فقط على ألفاظ القرآن، بل أيضًا على ما سماه "الكيفيات التي تؤدى بها تلك التراكيب"،[١] وذكر منها "الاستئناف البياني" والوقف على الكلمات وعدم تكريرها، وبيّن أن "أدب اللغة في القرآن" متسع، فيه جِدة وتفنن سواء من ناحية اللفظ أو المعنى أو الأسلوب والغرض، وأنه يعلق في الأذهان لتناسب الألفاظ وتراكيبها وترتيبها بأسلوب ابتكره القرآن وهو الفاصلة،[٢] وأشار الطاهر إلى أن لطائف الأدب في القرآن هي "فتح لفنون رائعة من أدب لغة العرب"، بل فتحت مجالًا للأدب العربي للارتقاء غفل عنه السابقون، أمثال: الباقلاني والجرجاني والخطابي أو اختلط عندهم بالإعجاز لاهتمامهم ببيانه في بعض الجزئيات من الآيات والسور.[٣] إن التحدي بالقرآن عند ابن عاشور والذي به تكون معجزة النبي ﷺ هو عجز المخاطبين عن الإتيان بمثل بلاغة القرآن؛ لذلك كان التحدي بأن يأتوا بسورة يظهر إعجازها في مجموع نظمها وبلاغتها وغرضها الذي انتظمت عليه،[٤] وهذه النظرة للتحدي عند ابن عاشور تربط النظم والبلاغة بالإعجاز، وتجعل التركيز ينصبُّ على نظم السورة وليس فقط اتصال جملها بشكل خطيّ، فهو يعتقد بوجود الإعجاز والتحدي في الألفاظ وتناسق النظم سواء في الأجزاء أو المجموع.[٥]

إن علم المناسبات يعتبر مشابهًا لنظرية التناظر ومفهومها لأن كليهما يبحثان في حكمة ترتيب النص وتركيبه،[٦] ويستخدم ابن عاشور المناسبات لبيان الأغراض القرآنية

(١) المرجع السابق، ج: ١، ص: ١١٧.

(٢) المرجع السابق، ج: ١، ص: ١١٩.

(٣) المرجع السابق، ج: ١، ص: ١٠١.

(٤) المرجع السابق، ج: ١، ص: ١٠٤.

(٥) المرجع السابق، ج: ١، ص: ١١٢.

(٦) منهج البلاغة السامية في دراسة بنية القرآن الكريم، محمد المجود، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص: ١٩.

وتلاحمها ابتداء من أجزاء الآية الواحدة مرورًا بأخواتها في السورة إلى القرآن كله،[١] لذلك هو يبدأ عادة بذكر المناسبة ثم اللغويات والمعاني وغيرها مع اعتقاده بأن سور القرآن تعددت وتنوعت أساليبها، فمنها ما افتتح بالمقدمات، ومنها ما افتتح بالغرض المراد من البداية، وهناك سور بُنيت على فواصل وأخرى لا.[٢] وبعد تفسير عدد من الآيات يعود الطاهر ويربط آية بما قبلها من آيات، ويكون هذا الربط بلاغيًّا وموضوعيًّا، ويكثر في تفسيره بيان مواضع "رد العجز إلى الصدر"،[٣] أو العودة إلى آيات سابقة أو النظائر كما هو واضح في سورة الروم.[٤] كما يقول بأن ترتيب آيات السورة مقصود ومعجز، وأنه في حال تم تغيير هذا الترتيب فلن يحصل الإعجاز القرآني المراد.[٥] لذلك نراه يقول بأن الآيات المنسوخة قد بقيت مكتوبة في المصاحف لما "ما في مقدار مجموعها من البلاغة بحيث يلتئم منها مقدار ثلاث آيات متحدى بالإتيان مثلها (أي مقدار سورة قصيرة)"،[٦] وهذا القول لابن عاشور يوحي بوجود نظام معين بُنيت عليه السورة، ويتضمن وجود الآيات المنسوخة؛ فالطاهر يجعل بقاء المنسوخ في القرآن من صور البلاغة، بحيث إن الحكم ذهب وبقيت البلاغة.[٧]

والسؤال الآن هو: هل توجد الأقسام/الوحدات الدنيا والعليا في تفسير التحرير كما هي واضحة في نظرية التناظر؟ وهل يخلو التحرير من فهم لتركيب الآيات التي تكشفها النظرية كالتوازي والنظم المعكوس؟ هل لاحظ الطاهر أثناء تطبيقه للبلاغة العربية على

(١) أثر علم المناسبات القرآنية في التفسير المقاصدي عند الإمام ابن عاشور، نشوان بن عبده خالد، محمد شكري بن عبد الله، المؤتمر العالمي الثاني للقرآن والسنة بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ١٣-١٥ مارس ٢٠١٥، http://irep.iium.edu.my/59383/، الاطلاع ٢٠ مارس ٢٠٢٤، الساعة ٥ م، ص: ٢٠.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: ١، ص: ١٢١.

(٣) مثاله: سورة البقرة: ١٢٢؛ سورة النور: ٣٤، الدخان: ٥٩.

(٤) انظر: تفسير التحرير والتنوير للسورة.

(٥) المرجع السابق، ج: ١، ص: ٧٩.

(٦) المرجع السابق، ج: ١، ص: ١٠٤.

(٧) إن نسخ القرآن بالقرآن لا يوجد في قواعد نظرية التناظر، فالنسخ يعمل على إلغاء آيات أكثر تسامحية كما يقول كويبرس. The Composition of the Quran, Michel Cuypers, p. ١٦٢.

الآيات وجود نظم معين تركبت السورة على أساسه؟ النقاط التالية تسعى لتقديم بعض التوضيحات وإبراز أوجه التشابه والاختلاف مع نظرية التناظر:

أولًا: التناظر: الفكرة الرئيسة لقواعد البلاغة السامية هي وجود التناظر، وتحديد الروابط بين أشكال التناظر المختلفة (التوازي، المحوري، المعكوس)،[١] وتكتمل حلقة التناظر عند تطابق أغلب الألفاظ، وعند تطابق بعضها في بداية النص وآخره تكون إشارات نصية ضمنية، وعند تطابقها في البداية أو الوسط أو نهاية حلقتين متناظرتين تكون إشارات على الابتداء أو الوسط أو الانتهاء، وعندما يأتي تطابق بعض الألفاظ في نهاية حلقة وبداية حلقة أخرى تكون إشارات وسائطية للترابط، ويبين كويبرس أن العلاقة بين هذه الألفاظ قد تكون بناء على التطابق، الترادف، التضاد، التجانس وغيره،[٢] وتكون وفق قواعد محددة.[٣] الطاهر لا ينص على وجود التناظر بهذا الشكل، ولكنه يلحظ تركيب الحلقة وردّ العجز إلى الصدر سواء في مقاطع السورة أو السورة ككل. وقد بيّن الطاهر أن سورة الفاتحة مثلًا تنقسم إلى ثلاثة أقسام بسبب الحديث الصحيح،[٤] وهذا التصريح من الطاهر كان غرضه بيان التحدي بالقرآن في نظمه، وأن تقسيم السورة في الحديث هو

(١) يمكن الاطلاع على أمثلة تشرح أشكال التناظر في: ميشيل كويبرس، البلاغة السامية في القرآن، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص: ١٦-١٧.

(٢) Cuypers, Michel, A Quranic Apocalypse: A Reading of the Thirty-Three Last Surahs of the Quran, trans. By Jerry Ryan, (Lockwood Press, Atlanta, GA, 2018), p. xix.

(٣) The Composition of the Quran, Michel Cuypers, p. viii.

(٤) ((عَنْ أبي هريرة، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "مَن صَلَّى صَلاةً لَمْ يَقْرَأْ فيها بأُمِّ القُرْآنِ فَهي خِداجٌ ثَلاثًا غَيْرُ تَمامٍ. فقِيلَ لأَبِي هُرَيْرَةَ: إنَّا نَكُونُ وراءَ الإمامِ؟ فقالَ: اقْرَأْ بها في نَفْسِكَ؛ فإنِّي سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ يقولُ: قالَ اللَّهُ تَعالَى: قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وبيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، ولِعَبْدِي ما سَأَلَ، فإذا قالَ العَبْدُ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمِينَ}، قالَ اللَّهُ تَعالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وإذا قالَ: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، قالَ اللَّهُ تَعالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وإذا قالَ: {مالِكِ يَومِ الدِّينِ}، قالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وقالَ مَرَّةً فَوَّضَ إلَيَّ عَبْدِي، فإذا قالَ: {إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِينُ} قالَ: هذا بَيْنِي وبيْنَ عَبْدِي، ولِعَبْدِي ما سَأَلَ، فإذا قالَ: {اهْدِنا الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ صِراطَ الَّذينَ أنْعَمْتَ عليهم غيرِ المَغْضُوبِ عليهم ولا الضَّالِّينَ} قالَ: هذا لِعَبْدِي ولِعَبْدِي ما سَأَلَ)). انظر: القشيري، مسلم ابن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (مصر- القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، لبنان- بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤هـ)، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وأنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها، حديث رقم ٣٩٥، ج: ١، ص: ٢٩٦.

من "المحسنات البديعية"[١] وحسن التخلص،[٢] مبيِّنًا أن الآية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] كانت "مزيجًا من القسمين الذي قبله والذي بعده"،[٣] مشيرًا إلى أن بلاغة القرآن في خصائصها ودقائقها مقصودة ومعروفة لبلغاء العرب عندما تحداهم به، وقد حصلت لهم هذه المعرفة عن طريق الإشارات الموجودة في الآيات وهي ليست قليلة،[٤] وهذا التقسيم الذي ذكره الطاهر والإشارات التي صرّح بوجودها لا تختلف عن تقسيم كويبرس للسورة نفسها مع اختلاف المنهجية وتماثلها من ناحية ملاحظة الإشارات والتركيز على الغرض وتقسيم أجزاء السورة بلاغيًّا،[٥] بل إن الطاهر قد خلص إلى تفسير بعض آيات السورة إلى معان أوسع من المنقول تشابهت مع بعض استنتاجات كويبرس. إن وجود فكرة التقسيم إلى سور (من ضمن ما سماه الطاهر بمبتكرات القرآن)، وتقسيم الفاتحة إلى ثلاثة مقاطع يشير إلى اعتبار فكرة التقسيم عند الطاهر إلى أقسام أصغر وربط الأقسام ببعضها لبيان اتصال السورة، مع أن التقسيم هنا كان بناء على الحديث النبوي ثم الربط البلاغي.

ثانيًا: أغراض السورة: تعمل نظرية التناظر على تحديد نظم السورة ومحاورها

(١) من المحسنات البديعية التي جاءت في التحرير مرة واحدة ما يسمى بـ "تشابه الأطراف"، وهو تكرر الألفاظ في آخر الجملة مع ما يتبعها، ومثاله في سورة النور: ٣٥. انظر: الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير "المعاني والبديع"، رانية جهاد إسماعيل الشوبكي، إشراف: أ.د. محمد شعبان علوان، الجامعة الإسلامية- غزة، كلية الآداب- قسم اللغة العربية، الدراسات العليا، رسالة ماجستير، ١٤٣٠-٢٠٠٩، ص:٣٩١- ٣٩٢.

(٢) حسن التخلص هو "انتقال الشاعر مما بدأ به قصيدته إلى الغرض منها ببراعة وعدم تكلُّف، الانتقال من موضوع إلى آخر من غير انقطاع محسوس" (انظر: عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، (القاهرة: عالم الكتب، ١٤٢٩-٢٠٠٨)، ط١، ج: ١، ص: ٦٧٩)؛ والتخلص هو الانتقال من "المقدمة إلى الغرض". انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، جمع وتوثيق: محمد الطاهر الميساوي، (الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤٣٦ – ٢٠١٥)، ط ١، ج: ٣، ص: ١٣١٩.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: ١، ص: ١٠٨.

(٤) المرجع السابق، ج: ١، ص: ١٠٨.

(٥) The Composition of the Quran, Michel Cuypers, p. 47.

الرئيسة (أو محورها الرئيس) والتي تُعدّ مفاتيح للتفسير،[١] وتُعتبر الآيات التي هي محاور في السورة حِكمًا عامة فيها من تعزيز الأخلاق والتسامح، والانفتاح بشكل كبير على الديانات الأخرى ويجدر فهم النص بناء عليها، على عكس الآيات التي تلي المحاور والتي تحمل طابعًا قاسيًا[٢] فهي ظرفية تتعلق بوضع تاريخي معين.[٣] وتعتمد نظرية التناظر على أن ما جاء في القسم الأول يُعاد في القسم الثاني بألفاظ مترادفة أو متضادة أو غيرها.[٤] في المقابل لا يحدد ابن عاشور موضوعًا واحدًا للسورة تعود إليه كل أجزائها،[٥] بل يذكر أغراض السورة كلها بالترتيب كما جاءت في السورة، ويربط بين الأغراض عبر ذكر المناسبات والروابط البلاغية. وهذه الأغراض في حقيقتها -عند التأمل فيها- ما هي إلا محاور رئيسة في السورة، وتحمل رسائل القرآن (السورة) الأساسية. ويعدّ الطاهر نظم القرآن متمايزًا عن أسلوب الكلام العربي في أن مقاصد القرآن هي الوعظ الذي يشابه أسلوب الخطابة لدى العرب، وفيها توضيح للتشريعات والآداب التي انتثرت في معانيه،[٦] وأن غرض القرآن هو بيان الأخلاق الفاضلة والحقائق من أجل الارتقاء بالإنسان وتعليمه، وهو غرض لم يكن لدى العرب البلغاء في كلامهم وأشعارهم.[٧] وقال الطاهر عن أسلوب القرآن في الانتقال بين الأغراض ثم العودة إلى الغرض: "ومن أساليبه ما أسميه بالتفنن وهو بداعة تنقلاته من فنٍّ إلى فنٍّ بطرائق الاعتراض والتنظير والتذليل والإتيان بالمترادفات

---

(١) Ibid., p. 167.

(٢) وهذه الدراسة تبين أن هذا الاعتقاد غير دقيق، خاصة وأن ابن عاشور بيّن أن رسائل القرآن هي للهداية والرشاد والإصلاح.

(٣) ميشيل كويبرس، البلاغة السامية في القرآن، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص: ٣٧؛ The Composition of the Quran, Michel Cuypers, p. ١٢٦.

(٤) The Composition of the Quran, Michel Cuypers, p. 8-9; The Banquet, Michel Cuypers, p. 35.

(٥) قد يرجع السبب في عدم ذكر ابن عاشور موضوعًا واحدًا محوريًّا تدور حوله أجزاء السورة كما فعل البقاعي وإصلاحي، ربما هو بسبب اعتقاد الطاهر باتساع المعاني وأن كل ما تحتمله اللغة من معنى فهو مقبول، مع اعتقاده بتجدد المعاني وإمكانية كشف المزيد من أوجه البلاغة القرآنية.

(٦) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١: ص ١١٥-١١٦.

(٧) المرجع السابق، ج ١: ص ١٢٦.

عند التكرير تجنبًا لثقل تكرير الكلم، وكذلك الإكثار من أسلوب الالتفات[١] المعدود من أعظم أساليب التفنن عند بلغاء العربية فهو في القرآن كثير، ثم الرجوع إلى المقصود فيكون السامعون في نشاط متجدد بسماعه وإقبالهم عليه".[٢] ويظهر من كلام الطاهر أن النص منتظم على هذه الأغراض، وأنه ينتقل من غرض لآخر وفق أساليب بلاغية وباستخدام المترادفات، وأن العودة لغرض سابق في السورة هو من طريقة النظم لغرض جذب الانتباه.[٣] ويمكن القول بأن هذه الطريقة لا تختلف عن رد العجز إلى الصدر الذي يشير إليه الطاهر في تفسيره، وهي في حقيقتها تشبه الدائرة أو الحلقة عندما تحدث العودة لغرض سابق. ويتبين مما سبق أن التحرير ونظرية التناظر يتشاركان في ماهية الأغراض العامة وأنها تكون رسائل من الحكمة أو غيرها، وأيضًا في عودة الأغراض للظهور، ووجود الترادف عند التكرار.

ثالثًا: أسباب النزول:[٤] إن نظرية التناظر لا تلتفت لسبب النزول وتعتبره أداة خارجية استُعملت لفهم النص في حال الغموض ولإعطاء معنى محددًا منسوبًا للوقائع التاريخية في زمن النبوة،[٥] ولكن استخدامها في سورة مثل العلق محتمل وليس ملزمًا ولا

(١) "الْتِفَات مِنَ أُسْلُوبٍ إِلَى أُسْلُوبٍ وَالْتِفَاتٌ عَمَّنْ كَانَ الْكَلَامُ مُوَجَّهًا إِلَيْهِ بِتَوْجِيهِ الْكَلَامِ إِلَى شَخْصٍ آخَرَ" (انظر: المرجع السابق، ج ١٤: ص ٢٤١).

(٢) المرجع السابق، ج ١: ص ١١٦.

(٣) قال ابن عاشور: "وأشدُّ مَنْ يظهر احتياجُه إلى رَعْيِ قواعدِ هذا الاتصال الخطباء، فإن من دأبهم التطرقَ إلى موضوعاتٍ كثيرة، فإنْ هم لم يُحْسِنُوا ترتيبَها جاء الكلامُ نُتَفًا ينبُو بعضُه عن بعض. وقد رأينا الشعراءَ لا يزيدون في انفكاك الغرض على أكثر من ثلاثة أبيات، ويتوخَّوْن من الصفات ونحوها ما له علاقةٌ بالغرض شديدة، وكذلك شأنُ الكاتب أيضًا. وأما الانتقالُ من غرض إلى غرض ومن أسلوب إلى أسلوب، فهو زينةُ الكلام للكاتب والشاعر والخطيب، وهو أحسنُ تطريةً لنشاط السامع، وأكثرُ إيقاظًا للإصغاء إليه. ويختصُّ من اللطافة بمثل ما قرره علماءُ المعاني للالتفات، فقد سماه السكاكي "قِرَى الأرواح"(ولا بد فيه من مراعاة المناسبة، كما ترى في انتقالاتِ القرآن العظيم)". (انظر: جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، ابن عاشور، ج: ٣، ص: ١٣١٨).

(٤) لقد خص الطاهر مقدمته الخامسة للحديث عن أسباب النزول، ووضح التفاوت بين الأخذ بها باعتدال أو العكس، وعدد خمسة أوجه لما صح منها، وذكر أن أسباب النزول تلعب دورًا بلاغيًّا حسب السياق (انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١: ٤٦-٤٧).

(٥) البلاغة السامية في القرآن، ميشيل كويبرس، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص: ٢٧.

يشرح معنى "اقرأ" وارتباط أجزاء السورة،[١] أما منهج الطاهر في المناسبات هو تقديم سبب النزول؛ لأن ترتيب الآيات في السورة توقيفي بغض النظر عن كون الآية نزلت وقت نزول السورة أو تم إلحاقها بها لتشابه النظم، وبعض أسباب النزول عنده تكون لبيان المناسبة بين الآيات وليست لبيان المجمل أو تأويل المتشابه،[٢] ثم يبين الطاهر أن النظر في المناسبات مطلوب بدون تكلف.[٣] وهنا في سورة الروم يقدّم الطاهر سبب النزول ويكون الفاتحة التي بُنيتْ عليها أغراض السورة.

رابعًا: النظم والنظائر: لقد أكّد الطاهر أن فهم معاني القرآن العربي يحصل عبر "قواعد العربية": "متن اللغة، والتصريف، والنحو، والمعاني، والبيان"، ويتضمن كذلك استعمالات وأساليب وتراكيب العرب في الخطب والشعر.[٤] ويذكر الطاهر أن بلاغة القرآن مما يتاح إيضاحها وبيانها،[٥] وأن النظم القرآني بُني على "وفرة الإفادة وتعدد الدلالة" سواء دلالة التركيب أو دلالة البلاغة وكلاهما مما يوجد في كلام العرب، بل ويتفوق عليه في الأخيرة، ويضيف الطاهر دلالة مواضع الجمل القرآنية واتصالها بما يسبقها وما يليها، واختلاف أنواع هذا الاتصال كأن يكون تعليلًا أو استدراكًا أو جوابًا لسؤال أو غيره، وهذه الدلالة كما يقول الطاهر تكثر في القرآن على عكس كلام العرب، بسبب أن القرآن تسمح جمله وأغراضه بهذا التطويل والتعدد.[٦] إن ابن عاشور يولي التركيب اهتمامه كما البلاغة، ويقسم الآية إلى جمل، ويستخدم البلاغة (كالاستئناف والعطف والاعتراض) والنحو للربط بين الجمل ومن ثم الآيات، ويربط آخر الآية بأولها بلاغيًّا ونحويًّا، وآيتين متتاليتين أو أكثر، ويربط الآية بما قبلها خطيًّا وأيضًا بآيات سابقة سواء في أول السورة أو وسطها، ويعود إلى المعاني المكررة أو الآيات المكررة ويشير إليها في السورة نفسها، ويجعلها غرضًا بُنيت عليه السورة. واهتمام الطاهر بدلالتي التركيب والبلاغة وتقسيم الآية بناء على أداة

(١) The Composition of the Quran, Michel Cuypers, p. 166.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١: ٥٠.

(٣) المرجع السابق، ١: ٧٩-٨١.

(٤) المرجع السابق، ١: ١٨.

(٥) المرجع السابق، ١: ١٠٨.

(٦) المرجع السابق، ١: ١١٠.

حيادية وهي اللغة العربية شبيه بالتقسيم لوحدات دنيا في نظرية التناظر حيث إن قواعد البلاغة السامية تقوم أساسًا على تقسيم الآية إلى جمل ووحدات صغيرة لمعرفة طريقة التركيب.(١) لقد اعتمدتْ نظرية التناظر على تحليل النص من وحداته الأصغر، وحددت ثلاث صور بنائية للآيات، ويمكن ملاحظة بعض هذه الصور في التحرير بشكل لا يرقى للتقسيم الدقيق لقواعد التناظر حيث يُلاحِظ الطاهر التكرار والتضاد والترادف والنظائر، فمثلًا في سورة النور حدد الطاهر مواقع الآيات المتشابهة/النظائر (الآيات ١، ٣٤، ٤٦): ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ﴾ [النور: ١]، ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [النور: ٣٤]، ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ [النور: ٤٦]، وجعلها الطاهر علامات على الابتداء والتذييل للمعاني وأغراض السورة. كما ربط هذه النظائر بما يشبهها من آيات في السورة (الآيات ١٨، ٥٨): ﴿ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النور: ١٨]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ [النور: ٥٨]، وبيّن أثرها على المعنى ونظم السورة من خلال المناسبات.(٢) ويُلحظ في نظرية التناظر الاعتناء بالتكرار في تحديد صور التركيب،(٣) وقد تكون هذه هي القاعدة الجوهرية الوحيدة للتقسيم التناظري.(٤)

خامسًا: الفواصل (نهاية الآيات): نظرية التناظر عند تقسيم النص لا تُعنى بأرقام الآيات، بل تعمل على تجاهلها لمعرفة التركيب، وتعتبرها علامات غير أصلية ولا ثابتة على التقسيم،(٥) أما الطاهر فهو يرى أن الفواصل من محسنات الكلام وإرادة النظم والإعجاز

(١) () A Quranic Apocalypse, Michel Cuypers, p. xix-xx.

(٢) انظر سورة النور في التحرير والتنوير.

(٣) The Composition of the Quran, Michel Cuypers, p. 8-9, 25, p. 134-135.

(٤) منهج البلاغة السامية في دراسة بنية القرآن الكريم، محمد المجود، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص: ٥١.

(٥) The Composition of the Quran, Michel Cuypers, p. 133-134.

ويجب الوقوف عندها، ولها علاقة بالفهم والتأثير على المتلقي،[١] ويضيف بأنها متكررة في السورة بتماثل أو تقارب لغرض النظم،[٢] ونقل أنه من السنة النبوية الوقوف على رؤوس الآيات مع ارتباطها بما بعدها،[٣] وذكر أن القرآن أتى بأسلوب غير معهود لدى العرب حيث يستخدم الإبدال للربط بين نهاية آية وبداية الآية التي تليها،[٤] وقال أيضًا أن المفصل الأول يشير إلى سابقه والثاني يشير إلى لاحقه كما ذكر في أقسام سورة الفاتحة، وهذا الإبدال المذكور عند الطاهر شبيه بالإشارات التي تتبعها نظرية التناظر في النص لتكون بداية ونهاية المقطع[٥] أو لربط مقاطع السورة ببعضها.[٦]

سادسًا: الاعتراض والجمل المعترضة: من قواعد التناظر أن المحور أو فكرة المحور أو الحكمة تظهر في وسط التركيب، وهي نقطة تحوّل في النص، وغالبًا ما تكون حكمة قرآنية أو رسالة عامة، وقد تكون من سطر إلى أربعة، ثم يعود النص لما سبق أو بدأ به حتى ينتهي.[٧] وأسلوب الاعتراض في البلاغة العربية أشبه بفكرة نقطة التحول في النص، والطاهر يجعل "الاعتراض" من منهج القرآن في إيصال رسائله ومواعظه الرامية للإصلاح والبناء، خاصة وأن القرآن ينتقل من غرض إلى غرض مثلما يفعل الخطيب من انتقاله من موضوع إلى موضوع وفق مقتضى الحال بحيث لا يلزم التسلسل، فيذكر الطاهر أن هذه الجمل المعترضة تحتوي على الحِكَم والرشاد الذي هو غرض القرآن الأعظم، وضرب مثالًا عليه الآية ٧٣ من آل عمران: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾.[٨]

والهدف من هذا العرض هو بيان أن استخدام قواعد اللغة العربية وأساليبها البلاغية التي بيّنها الطاهر قادر على كشف تركيب الآيات القرآنية، وفهم صور الترتيب والنظم، وإن كان الأمر بحاجة لمزيد اكتشاف وبحث في ضوء الصور التركيبية التي تظهرها نظرية التناظر.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: ١، ص: ٧٦، ٨٣.

(٢) المرجع السابق، ج: ١، ص: ٧٥.

(٣) المرجع السابق، ج: ١، ص: ٧٦.

(٤) المرجع السابق، ج: ١، ص: ١٢٢-١٢٣.

(٥) The Composition of the Quran, Michel Cuypers, p. 114.

(٦) Ibid., p. 74, p. 115-116.

(٧) The Banquet, Michel Cuypers, p. 36.

(٨) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: ١، ص: ٨١-٨٢.

المبحث الثاني: الأغراض والمناسبات بين آيات سورة الروم في التحرير والتنوير

إن أغراض السورة التي يذكرها الطاهر لا يجدر قراءتها كأنها قائمة لموضوعات السورة حسب ظهورها، بل يجب دراستها مع المناسبات التي يذكرها الطاهر لبيان طرق الانتقال بين هذه الأغراض وعودة ظهورها وتحديد طريقة تركيبها ونظمها؛ لذا في هذا المبحث سيتم عرض أغراض سورة الروم وعلاقتها بالمناسبات التي ذكرها الطاهر، ومتى يبدأ غرض جديد وينتهي غرض سابق، واتصال آيات السورة من أولها إلى آخرها. وأغراض سورة الروم كما ذكرها الطاهر هي كالتالي:

"أَوَّلُ أَغْراضِ هَذِه السُّورَةِ سَبَبُ نُزُولِها عَلى ما سَرَّ المُشْرِكِينَ مِن تَغَلُّبِ الفُرْسِ عَلى الرُّومِ، فَقَمَعَ اللَّهُ تَعالى تَطاوُلَ المُشْرِكِينَ بِهِ وتَحَدّاهم بِأنَّ العاقِبَةَ لِلرُّومِ في الغَلَبِ عَلى الفُرْسِ بَعْدَ سِنِينَ قَلِيلَةٍ.

ثُمَّ تَطَرَّقَ مِن ذَلِكَ إلى تَجْهِيلِ المُشْرِكِينَ بِأنَّهم لا تَغُوصُ أفْهامُهم في الِاعْتِبارِ بِالأحْداثِ ولا في أسْبابِ نُهُوضِ وانْحِدارِ الأُمَمِ مِنَ الجانِبِ الرَّبّانِيِّ، ومِن ذَلِكَ إهْمالُهُمِ النَّظَرَ في الحَياةِ الثّانِيَةِ ولَمْ يَتَّعِظُوا بِهَلاكِ الأُمَمِ السّالِفَةِ المُماثِلَةِ لَهم في الإشْراكِ بِاللَّهِ، وانْتَقَلَ مِن ذَلِكَ إلى ذِكْرِ البَعْثِ.

واسْتَدَلَّ لِذَلِكَ ولِوَحْدانِيَّتِهِ تَعالى بِدَلائِلَ مِن آياتِ اللَّهِ في تَكْوِينِ نِظامِ العالَمِ ونِظامِ حَياةِ الإنْسانِ.

ثُمَّ حَضَّ النَّبِيءَ ﷺ والمُسْلِمِينَ عَلى التَّمَسُّكِ بِهَذا الدِّينِ وأثْنى عَلَيْهِ.

ونَظَّرَ بَيْنَ الفَضائِلِ الَّتِي يَدْعُو إلَيْها الإسْلامُ وبَيْنَ حالِ المُشْرِكِينَ ورَذائِلِهِمْ، وضَرَبَ أمْثالًا لِإحْياءِ مُخْتَلَفِ الأمْواتِ بَعْدَ زَوالِ الحَياةِ عَنْها ولِإحْياءِ الأُمَمِ بَعْدَ يَأْسِ النّاسِ مِنها، وأمْثالًا لِحُدُوثِ القُوَّةِ بَعْدَ الضَّعْفِ وبِعَكْسِ ذَلِكَ.

وخَتَمَ ذَلِكَ بِالعَوْدِ إلى إثْباتِ البَعْثِ ثُمَّ بِتَثْبِيتِ النَّبِيءِ ﷺ ووَعْدِه بِالنَّصْرِ.

ومِن أعْظَمِ ما اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ التَّصْرِيحُ بِأنَّ الإسْلامَ دِينٌ فَطَرَ اللَّهُ النّاسَ عَلَيْهِ، وأنَّ مَنِ ابْتَغى غَيْرَهُ دِينًا فَقَدْ حاوَلَ تَبْدِيلَ ما خَلَقَ اللَّهُ وأنّى لَهُ ذَلِكَ".[1]

(١) المرجع السابق، ج: ٢١، ص: ٤٠-٤١.

أولًا: إن القارئ للتحرير والتنوير يجد أن الطاهر لا يذكر موضوع السورة الرئيس بشكل عام، ولكن باعتبار فهم الطاهر للكلام البليغ بأنه انتظم على غرض ما، يظهر غرض "الدين القيم": ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الآية ٣٠) في وسط الأغراض حيث ترتيب ظهوره بين موضوعات السورة: "ثُمَّ حَضَّ النَّبِيءَ ﷺ والمُسْلِمينَ عَلى التَّمَسُّكِ بِهَذا الدِّينِ وأثْنى عَلَيْهِ"، ولا يعيد الطاهر ذكره مع الأغراض رغم ملاحظته لتكرره في الآية ٤٣: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ وقوله أنه أُعيد للتأكيد،[1] بل يفرد موضوع الفطرة والدين القيم (الآية ٣٠) في السطر الأخير مشيرًا إلى أنه من أعظم محتويات السورة، وكأنه إشارة إلى محور رئيس فيها على وجه الخصوص، بالإضافة إلى ذلك فإنه يُلاحظ أن الطاهر التفت إلى تكرار موضوع البعث ومخاطبة النبي ﷺ ووعده بالانتصار والعودة إليه في آخر السورة، ورغم أن الطاهر لا يُقسّم آيات السورة إلى مقاطع إلا أنه حين يذكر المناسبات بين الآيات فإنه يعتمد على ربط هذه الأغراض مع مراعاة مواضع التكرار والآيات النظيرة لفهم النظم. ويمكن القول بأن هذه الأغراض قد حددت عند الطاهر نظم السورة، وأن تحديد النظم في أساسه لم يكن موضوعيًّا (وفق غرض الكلام) فقط، بل مبني على أساليب البلاغة ودلائلها والنحو، ويظهر في المناسبات التي ذكرها نوع من التقسيم وبيان التركيب كما سيأتي في الأمثلة التالية.

ثانيًا: يأتي في الأغراض التي انتظمت عليها سورة الروم عند الطاهر موضوع البعث والأدلة عليه في أطراف السورة، وقد حدد الطاهر أربع آيات نظائر كما سيأتي بعد قليل (تم ذكرها في الأسفل النقاط من ١-٤) تخدم هذا الغرض وتحدد نظم السورة، تبدأ هذه النظائر بالآية الحادية عشرة، ويذكر الطاهر مناسبتها لما قبلها وما بعدها، واعتبارها ومثيلاتها أساس السورة لإثبات أدلة الوحدانية ودحض اعتقاد المشركين في الشركاء. وتظهر أهمية هذه الآية ليس في كونها نقطة البداية لموضوع الأدلة في السورة، بل كذلك في ملاحظة الطاهر لتكرار الأسلوب في السورة حيث تبدأ أخواتها بلفظ الجلالة كذلك،

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: ٢١، ص: ١١٥.

وكل واحدة ترتبط بالأخرى كما يبيّن. وربط الطاهر سبب النزول بهذه الأدلة من خلال موضوع "الدين" حيث تستغل السورة الموضوع السياسي (ما حدث للروم) لدحض دين مشركي مكة واعتدائهم على المسلمين، وتذكر أدلة التوحيد وقوة الله تعالى.[١] فيكون سبب النزول كالمقدمة للسورة وأغراضها؛ لأن فواتح السور وخواتمها عند الطاهر تكون متفننة متأنقة،[٢] والفاتحة ظاهرة الغرض وهو المعروف ببراعة الاستهلال،[٣] ثم يبين الطاهر أن السورة قائمة على أربعة أدلة نظائر لبيان وحدانية الله وقوته وبطلان الشرك، وكلها استئنافات، وهي كالتالي:[٤]

١ - بداية الخلق وأن الله وحده الخالق وعدم استطاعتهم إنكار هذه الحقيقة وإتباعه بذكر الساعة والجزاء: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (الآية ١١).

٢ - دحض الشركاء وإثبات البعث: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (الآية ٤٠).

٣ - تصرف الله في الكون وعلمه به وإحياء الأرض بعد موتها لإثبات البعث ودحض نفع الشركاء: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (الآية ٤٨).

٤ - إثبات الخلق وإعادة الخلق متبوعًا بذكر الساعة: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الآية ٥٤).

---

(١) المرجع السابق، ج: ٢١، ص: ٦٠-٦١.

(٢) المرجع السابق، ١: ١٤٢. وذكر ابن عاشور أن سورة الفاتحة بيّنت ثلاث قواعد للمقدمة، وذكر منها الإيجاز وغرض الكلام. (انظر: المرجع السابق، ج: ١، ص: ١٥٣).

(٣) المرجع السابق، ج ١، ص: ١٣٥.

(٤) المرجع السابق، ج: ٢١، ص: ٦١.

وعند دراسة المناسبات التي ذكرها في تفسيره يتبين أن سبب النزول قاد إلى غرض البعث، وأن سبب النزول في هذا النظم هو المقدمة، وهنا يظهر كيف قسّم الطاهر السورة إلى أجزاء ليس وفق الموضوعات فقط، بل وفق الأسلوب والتكرار في السياق، أيضًا الآيات في السورة التي تبدأ ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ ﴾ (الآيات ٢٠-٢٥) جمعها الطاهر مع بعضها في الغرض والأسلوب، وانتبه إلى تكررها لاحقًا في النظم (الآية ٤٦) وبيّن سبب تكرارها في موضعه.[١] ويبدو أن الطاهر يجعل إثبات البعث هو غرض رئيس متكرر بعد سبب النزول وقبل نهاية السورة[٢] مما يكوّن اعتقادًا بأن الطاهر قد لاحظ التشابه (أو بعبارة أخرى التناظر) في أطراف السورة.

ثالثًا: يأتي في هذا السياق غرض رئيس آخر في ترتيب الأغراض عند الطاهر وهو الحديث عن المشركين وأحوالهم، ففي بداية السورة وبعد سبب النزول تذكر السورة غفلتهم عن الآخرة وزوال الأمم السابقة، ثم في آخرها تحكي السورة عن رذائل المشركين وإحياء الأمم بعد الضعف، ويأتي بين ذلك عرض الأدلة المختلفة لبيان قوة الله وقدرته ووحدانيته ليجيء في الوسط الحديث عن "الدين" والأمر بالاستمساك به كما عرض ابن عاشور، وهنا يتبين تسليطه الضوء على الأغراض المتناظرة وتوزّع مواضعها في السورة.

وهذا العرض للأغراض على الأرجح أنه يحدد أغراض النظم الرئيسة ومواضع تكرارها، ولكن لا يمكن القول بأن الطاهر قد حدد تركيب السورة كما يحدث في نظرية التناظر، ولكن سوقه للأغراض بهذه الطريقة واستخدامه لحرف "ثم" في إظهار الانتقال بين الأغراض يوضح فهمه لترتيب النظم وأن موضوع "الدين القيم" أساسي وجوهري في هذا النظم، وقد جاء قبله وبعده أغراض وأساليب متكررة ومتناظرة أشار إلى العودة إليها. وننتقل الآن إلى استعراض بعض ما ذكره الطاهر من مناسبات بيّنت النظم وفق الأغراض، وقد اعتمد في إنشائها على الروابط البلاغية أو النحوية أو الموضوعية، وإن كان ظاهرها هو التناسب الخطيّ، إلا أن نظرة فاحصة لهذه المناسبات يتبين فيها وجود نوع من أشكال التركيب والتناظر وخاصة المتوازي، وكذلك نوع من التقسيم إلى مقاطع مكتملة المعنى

(١) سيأتي تفصيله في المثال الرابع لاحقًا.

(٢) المقصود قول ابن عاشور حين ذكر الأغراض: "وضَرَبَ أمْثالاً لإحْياءِ مُخْتَلَفِ الأمْواتِ بَعْدَ زَوالِ الحَياةِ عَنْها ...".

يبدأ بعدها معنى جديد وغرض جديد. والأمثلة التالية توضح بعض المناسبات المذكورة التي فيها إشارات إلى النظم والأغراض ومواقع التكرار، وبيان بعض أشكال التركيب وارتباط أجزاء السورة المختلفة:

- المثال الأول:

يلحظ الطاهر تشابه الأسلوب بين الآيتين ١١ و٢٧: ﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (الآية ١١)، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الآية ٢٧)، ويجعل الآية ٢٧ مكملة ونظيرة للاستئناف الأول في السورة حول بدء الخلق وإعادته، فيقول: "تَقَدَّمَ نَظِيرُ صَدْرِ هَذهِ الآيَةِ في هَذِهِ السُّورَةِ وأُعِيدَ هُنا لِيُبْنى عَلَيْهِ قَوْلُهُ ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ تَكْمِلَةً لِلدَّلِيلِ إذْ لَمْ تُذْكَرْ هَذِهِ التَّكْمِلَةُ هُناكَ. فَهَذا ابْتِداءٌ بِتَوْجِيهِ الكَلامِ إلى المُشْرِكِينَ لِرُجُوعِهِ إلى نَظِيرِهِ المَسُوقِ إلَيْهِمْ".[١] أما من ناحية ارتباط هذه الآية ٢٧ بالمثل بعدها[٢] فيذكر الطاهر أن مَثَلَ بدء الخلق وإعادته متبوع بمَثَل إبطال الشرك وأدلته المذكورة في الآية ١٩[٣] بأن الله يحيي ويميت،[٤] وهذه المناسبة التي ذكرها الطاهر خطية في الأساس بين الآية ٢٧ والتي تليها الآية ٢٨، ويظهر أنه يجعل غرض الاستئناف الأول يكتمل وينتهي بنظيره الآية ٢٧ وكأنها حلقة كاملة، ولكن المثلين (الآيات ٢٧ و ٢٨) متصلان عبر موضوع المـــثَل، وأن قوله "تكملة للدليل... لرجوعه إلى نظيره" يجعل الآية ٢٧ متممة للآية ١١ وسياقها وموضوعها.

- المثال الثاني:

الاستئناف الثاني ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (الآية ٤٠) في بيان وحدانية الله وقوته وتضمّنه لتحقق البعث جاء على أسلوب الاستئناف الأول (الآية

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: ٢١، ص: ٨٣.

(٢) ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الروم: ٢٨].

(٣) ﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الروم: ١٩].

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: ٢١، ص: ٨٥.

١١) كما يقول الطاهر.[١] ويعطي الطاهر في موقع الآية التالية (٤١): ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ عدة مناسبات لربطها بآيات سابقة في السورة، فيجعلها من المواعظ و"جوامع كلم القرآن"، فتكون متصلة بالآية ٩: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ كنتيجة لدلائل الوحدانية أو استئنافًا بيانيًّا لبيان ما حدث للأمم السابقة، أو إكمالاً للآية ٣٣[٢] واستئنافًا بيانيًّا لموضوع مس الناس بالضر، وما بينهما اعتراض واستطراد، أو هي اعتراض بين دعاء الناس وقت الضر (الآية ٣٣) وبين هلاك الأمم (الآية ٤٢)[٣].[٤] وبالتالي لا يتبين هنا تحديد الطاهر لنوع من أشكال التركيب أو النظم لما بعد الاستئناف الثاني، ولكنه يبني المناسبات على أساس النحو والبلاغة والموضوع، فيمكن أن تكون الآية ٤١ بداية لموضوع أو نقطة تحول في النص يعود بعدها لما كان يتحدث عنه، ويظهر كيف يربط الطاهر الآيات في أول السورة بالآيات في وسطها لتشابهها في الأسلوب والمفردات والمعنى.

- المثال الثالث:

الاستئناف الثالث ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (الآية ٤٨) يشير إلى القوة الإلهية وتحقق البعث،[٥] وعند الاستئناف الرابع ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الآية ٥٤) يشير الطاهر إلى أن موضعه مثل موضع الاستئناف الثالث وما سبقهما من أخواتهما في الأسلوب، وأُتبع

(١) المرجع السابق، ج: ٢١، ص: ١٠٧.

(٢) ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الروم: ٣٣].

(٣) ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الروم: ٤٢].

(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: ٢١، ص: ١٠٩-١١٠.

(٥) المرجع السابق، ج: ٢١، ص: ١٢٠.

الاستئناف الرابع بالحديث عن البعث (الآية ٥٥)[١] كما في نظائره.[٢] وهذه الإشارة والربط بين الموقعين للاستئنافين يوحي بملاحظة الطاهر للتوازي بينهما قرب ختام السورة، ويظهر أن ما بعد الاستئناف الرابع والأخير حلقة مكتملة في نهاية السورة.

- المثال الرابع:

يتضمن هذا المثال بيان نوع من أشكال التركيب المتوازي بين الآيات ٢٠-٢٥: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ ثم العلاقة بين موقع هذه الآيات ونظيرتها في السورة (الآية ٤٦): ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾. أولًا يذكر الطاهر أن هذه الآيات متحدة في الغرض وهو الدلالة على القدرة الإلهية بعد غرض أدلة البعث، وقد حدث الانتقال إليها عبر التخلص، وهي كذلك متحدة في الأسلوب حيث تبدأ الست الآيات بقوله "ومن آياته"،[٣] واعتبرها كلها نظائر[٤] (أي بعبارة أخرى متناظرة متوازية)، ثم عند الآية ٢٥ يذكر الطاهر ارتباطها بالآية ٢٢ موضوعيًّا، فالآية ٢٢ تذكر آية خلق السموات والأرض، والآية ٢٥ تذكر آية انتظام السموات والأرض على مر الزمان.[٥] وهنا يظهر ملاحظة الطاهر للتناظر بين الآيتين ٢٢ و٢٥ مع التناظر بين هذه المجموعة من الآيات. ثانيًا يشير الطاهر إلى موضع التكرار لهذه المجموعة من الآيات ووقوعه في الآية ٤٦، ويعبّر الطاهر عن

(١) ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الروم: ٥٥].

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: ٢١، ص: ١٢٧.

(٣) المرجع السابق، ج: ٢١، ص: ٦٩.

(٤) المرجع السابق، ج: ٢١، ص: ٧٩.

(٥) المرجع السابق، ج: ٢١، ص: ٨٠.

هذا التكرار بأنه "عود" إلى أدلة التوحيد بالعطف على الآية ٢٥ وليس الآية ٢٠، وأن الآيات بينهما استدلت على التوحيد والبعث لبث النشاط في المخاطبين بعدد من الأفانين على حد تعبيره،[١] ولا يوجد في كلام الطاهر ما يوحي بوجود مقطع كامل أو حلقة مكتملة بين هذه الآيات النظيرة (الآيات ٢٠-٢٥، ٤٦)، بل جعله العطف على الآية ٢٥ يشير إلى التركيب المتوازي في التناظر، وكأن الآية ٤٦ هي بداية المقطع النظير.

- المثال الخامس:

عند النظر في الآيات المتتالية من ٤٦-٥٣[٢] يستخدم الطاهر البلاغة كالاعتراض والعطف للربط بينها، ويجعلها مقطعًا مكتملًا منسجمًا موضوعيًّا، ويربط التكرار الوارد فيه (الآية ٤٨) بأخواته السابقات له (الآية ١١)، ويمكن اقتراح التركيب التالي وفقًا للروابط التي ذكرها الطاهر:[٣] الآية ٤٦ عودة للحديث عن أدلة التوحيد في سياق يذكر الرياح والفلك، الآية ٤٧ "معترضة مستطردة" للتذكير بالعقاب بعد نعمة سير الفلك، الآيات ٤٨-٤٩ استئناف مرتبط بالآية ٤٦ وفيه عودة لذكر الرياح لإحياء الأرض فتكون دليلًا على البعث، الآية ٥٠ معترضة للأمر برؤية رحمة الله في إحياء الأرض، الآية ٥١ معطوفة على الآية ٤٩ في بيان حال الكافرين حين تصيبهم النعمة، الآيات ٥٢-٥٣ "للترتيب" على ما سبقها في بيان حال الكفار. وكأن هذا المقطع يترتب كالتالي: ٤٦، ٤٧ (اعتراض)، ٤٨-٤٩، ٥٠ (اعتراض)، ١٥-٥٣.

---

(١) المرجع السابق، ج: ٢١، ص: ١١٨.

(٢) ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الروم: ٤٦-٥٣].

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: ٢١، ص: ١١٨-١٢٧.

- المثال السادس:

الآيات ٣٣-٣٤: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ يمكن اعتبارها متناظرة عند ابن عاشور مع الآيات ٣٦-٣٧: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾، وما بينهما الآية ٣٥ هي "إضراب انتقالي" للابتداء وفيه التفات،[١] فالطاهر يعبّر عن هذا التناظر بأنه إعادة لموضوع الحديث عن المشركين وأحوالهم، وتكون الآية ٣٨: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ مترتبة على ما سبقها بالتفريع والآية ٣٩ ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ مستدركة.[٢] والروابط هنا بلاغية نحوية وموضوعية ويبدو فيها ملاحظة الطاهر للتوازي وتشابه الألفاظ بين الآيتين ٣٣ و٣٦.

- المثال السابع:

عند الآية ٣٠: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ يذكر الطاهر أنها في موضع العطف لمخاطبة النبي ﷺ بعد عرض حال الكافرين الذين أعرضوا عن أدلة التوحيد،[٣] ثم عند الآية ٤٣: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ يشير إلى أنها نظيرة أختها (الآية ٣٠)، وقد جاءت لتأكيد الأمر بأن يُقيم الوجه للدين، وذكر الطاهر أن كلا الآيتين مفرّعة عن الآيات التي تُنذر بالعقاب للأمم السابقة (الآيات ٩، ٤٢).[٤] وهو هنا يلاحظ موقعهما وتناظرهما وموقع الآيات المتشابهة قبلهما.

(١) المرجع السابق، ج: ٢١، ص: ١٠٠.

(٢) المرجع السابق، ج: ٢١، ص: ١٠٢، ص: ١٠٥.

(٣) المرجع السابق، ج: ٢١، ص: ٨٨-٨٩.

(٤) المرجع السابق، ج: ٢١، ص: ١١٥.

- المثال الثامن:

إن فكرة تقسيم الآية إلى جمل وربط أجزائها ببعضها وما يسبقها وما يليها ظاهرة بكل وضوح في تفسير التحرير، ومنها ما ذكره الطاهر في تقسيم جمل الآيات ٢-٥: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ واستخدامه النحو والبلاغة للربط بين الجمل وبيان انتظام الآيات للغرض الأول، ويظهر كذلك تغاضيه عن مواضع انتهاء الآيات من أجل بيان ارتباط النظم، فمثلاً الآيات ٢-٤ يقسمها الطاهر كالتالي: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾، ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ فتكون الجملة الثانية معطوفة على الأولى، وهي مقصد هذا النظم وما يسبقها ممهدة لها،[١] ثم يجعل الطاهر جملة ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ﴾ "معترضة بين المتعاطفات"،[٢] وجملة ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ معطوفة على ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾، وجملة ﴿بِنَصۡرِ ٱللَّهِ﴾ إيماء إلى ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ﴾، وجملة ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ تذليل.[٣] وهذا النظم يظهر فيه أن جملة ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ﴾ كأنها النقطة المركزية وما قبلها من جمل متناظر، وما بعدها متناظر، واكتمل المعنى وتبين غرض النظم.

- المثال التاسع:

يظهر في كلام الطاهر عند الآيات ٦-٧: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ الانتقال إلى غرض جديد في آخر المقطع، حيث يذكر أنه اقتصر على ذكر غفلة الكافرين عن الآخرين ليكون تخلصًا من غرض الوعد بالنصر للروم إلى غرض تحقق حدوث البعث،[٤] ويجعل الآيات ٨-١٠: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ۝٨ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ

(١) المرجع السابق، ج: ٢١، ص: ٤٢، ص: ٤٤.

(٢) المرجع السابق، ج: ٢١، ص: ٤٦.

(٣) المرجع السابق، ج: ٢١، ص: ٤٧-٤٨.

(٤) المرجع السابق، ج: ٢١، ص: ٤٨-٥٠.

فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٩ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠ ﴾ بعدها معطوفة.[1]

بعد هذا العرض لهذه الأمثلة فإنه يمكن ملاحظة أن أغراض السورة قد حددت النظم عند الطاهر، وأن تحديد الأغراض كان وفقًا للتكرار والنظائر في السورة، أما المناسبات المذكورة فهي في عمومها خطية ومبنية على اللغة من النحو والبلاغة وكذلك الروابط الموضوعية. ويُلاحظ أيضًا أن التناظر موجود في فهم الطاهر للنظم، وهذا التناظر كان بين الأغراض، وبين الآيات، وبين جمل الآية الواحدة، وإن كان هذا التناظر قد بُني في الأساس على تشابه الأسلوب والألفاظ والبلاغة العربية، ولكن توزّعه في السورة عبر الإشارة إليه بلفظ "العودة" يوحي بوجود نظم غير مستقيم، بل نظم دائري أو شبيه بالحلقة. ويمكن من خلال المناسبات المذكورة في التحرير اقتراح تقسيم للآيات إلى معان متكاملة كالتالي (هل أضع السورة كاملة في نص البحث؟! أو أضعها في جداول؟): (الآيات ١-١٠)، (الآيات ١١- ٢٧)، (الآيات ٢٨- ٣٩)، (الآيات ٤٠- ٤٥)، (الآيات ٤٦- ٥٣)، (الآيات ٥٤- ٦٠). وهذا التقسيم قريب جدًا من التقسيم التناظري للسورة كما سيأتي في المبحث التالي.

(١) المرجع السابق، ج: ٢١، ص: ٥١-٥٩.

المبحث الثالث: التقسيم التناظري لسورة الروم ومقارنته مع التحرير والتنوير

تنقسم سورة الروم تناظريًا إلى قسمين بترتيب معكوس (أ ب ج / ج' ب' أ') وفق تقسيم كويبرس، وهو كالتالي:[١]

أ (الآيات ٢-٩) [مقدمة]

ب (الآيات ١٠-٢٧) الله يخلق ويعيد الخلق

ج (الآيات ٢٨- ٣٩) التوحيد ضد الشرك، الدين القيم

ج' (الآيات ٤٠- ٤٧) التوحيد، الدين القيم

ب' (الآيات ٤٨- ٥٣) قوة الله، البعث والقيامة

أ' (الآيات ٥٤- ٦٠) [خاتمة]

ويشير كويبرس إلى أن محور السورة الرئيس يتعلق بالدين القيم للرد على دين النصارى، وهي إشارة تدعو للتأمل فيما ذكره ابن عاشور في أغراض السورة حول الدين القيم، وما نصّه في شرح الآية ٣٠: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ من أن الإسلام دين الفطرة لما فيه من التوحيد المتماشي مع العقل

(١) أود أن أعبر عن شكري الجزيل لميشيل كويبرس الذي أرسل لي تقسيمه لسورة الروم عبر البريد الالكتروني بتاريخ ١٨ مارس ٢٠٢٤ حين طلبتُ استشارته بخصوص نظمها لمشاركتي بعرض تقديمي في مؤتمر الجمعية الدولية للدراسات القرآنية IQSA الذي أقيم في لندن ١٥-١٨جولاي ٢٠٢٤، وقد أوضح في بريده أن هذا التقسيم الذي أرسله لمساعدتي مبدئي وجزئي، تظهر فيه فقط تقسيمات الآية والمقاطع والأجزاء وغيرها وفق مختلف التفاسير، مثل: تفسير إصلاحي وغيره، وأيضًا أشار كويبرس في بريده إلى اختلافه مع بولين في تغييرها للمصطلحات الخاصة بقواعد التناظر، وأنه قد قدم لها المساعدة في بحثها عن سورة الروم المذكور في هذه الدراسة. وتجدر الإشارة إلى أنني وضعتُ أمام الحلقة الأولى والأخيرة في تقسيمه [مقدمة] و[خاتمة] حيث لا توجد لهما عناوين فيما أرسله إليّ، وأنني قمتُ بعمل هذا التركيب لتقسيمه: أ ب ج / ج' ب' أ'، كما يخلو تقسيمه من الآية ١ ومن تقسيم السلاسل والأقسام.

والفطرة في أصوله وفروعه، في حين أن دين اليهود والنصارى يخالف الفطرة في التفريعات،[١] وإن كان الطاهر قد ذكر اليهودية والنصرانية من باب الشرح والاستفاضة في معنى الآية ولم يحدد أن الرد على النصارى هو المحور، ولكن الطاهر أشار في الأغراض إلى أن الإسلام الذي هو دين الفطرة من أعظم موضوعات السورة. وعند النظر في هذا التقسيم التناظري فإنه يتشابه في بعض المواضع مع نظم السورة عند ابن عاشور كما يلي:

١ - التقسيم التناظري يتطابق مع ربط الآيات بالمناسبات التي ذكرها الطاهر في المواضع التالية في التحرير: (الآيات ٢٨- ٣٩)، (الآيات ٥٤- ٦٠).

٢ - يتشابه التقسيم التناظري في بداية كل حلقة مع المواضع التالية في التحرير: (الآيات ١-١٠)، (الآيات ٤٠- ٤٥).

٣ - يتشابه التقسيم التناظري في نهاية كل حلقة مع المواضع التالية في التحرير: (الآيات ١١- ٢٧)، (الآيات ٢٨- ٣٩)، (الآيات ٤٦- ٥٣).

٤ - تشابه موضوع بعض الآيات وافتتاحها بلفظ "الله" جعل ابن عاشور يذكر أنها أساس السورة وجعلها بلاغيًّا "استئنافات" وبداية مقطع في ثلاثة مواضع (ما عدا الاستئناف الثالث الآية ٤٨ لم تكن بداية مقطع)، وهذه الآيات المفتتحة بلفظ الجلالة تكون بداية حلقات كذلك في التقسيم التناظري ما عدا الحلقة من الآيات ١٠-٢٧.

٥ - اعتماد الطاهر على تشابه الأسلوب وتكراره والعودة للموضوعات في السورة متشابه مع طريقة التناظر في تحديد النظم. والجدير بالذكر أن تقسيم كويبرس ليس التقسيم التناظري الوحيد، فقد قامتْ Jeanne Malaik Bollen بتقديم تقسيم تناظري آخر لسورة الروم، يجعل نظمها يحتوي على مركزين: (الآيات ٢٧-٢٩) و (الآية ٤٠)، ومقدمة (الآيات ١-٧)، وثلاث حلقات رئيسة: (الآيات ٨-٢٠)، (الآيات ٣٠-٣٩)، (الآيات ٤١-٦٠).[٢] وقد ذكرت بولين أن موضوع السورة يدور حول ثلاثة مبادئ: الأمر لله، والنصر من عند الله لمن يشاء، وعدم الثقة بظاهر

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج: ٢١، ص: ٩٢-٩٣.

(٢) "« LES ROMAINS » analyse rhétorique de la sourate 30," Jeanne Malaik Bollen, https://www.academia.edu/102151868/LES_ROMAINS_analyse_rh%C3%A9torique_de_la_sourate_30, 2023, Accessed on March 18, 2024, 8 pm, p. 7.

الدنيا.[١] وهذا التفاوت في التقسيم التناظري بين تقسيم كويبرس وبولين يُظهر أن قواعد التناظر قد يختلف تطبيقها وبالتالي تختلف النتائج تباعًا.

لقد انتقد كويبرس التفاسير من حيث أن يكون رأي المفسر هو المعيار لتقسيم الآيات وتحديد موضوع السورة ونظمها،[٢] ومن ثَم يختلف التقسيم من شخص لآخر لعدم وجود قواعد صارمة من النص (مثل قواعد التناظر) تحول دون تأثير الآراء الشخصية في معرفة النظم، ومع هذا فإن تقسيم سورة الروم وفق قواعد التناظر قد اختلف بين تقسيمه وتقسيم بولين رغم وجود القواعد، واختلف كذلك تحديد كل منهما لموضوع السورة، ورغم هذا الانتقاد الذي وجهه كويبرس للتفاسير فإن البعض قد انتقد نظرية التناظر من حيث صعوبة التفرقة فيها بين طرق التركيب؛ فبعضها قد يحتمل الصورتين (المتوازية أو المرآة).[٣]

أيضًا لقد عاب كويبرس على المفسرين عدم جعل النظم أداة للتفسير بحيث تركز اهتمامهم على اتصال الآيات بشكل خطيّ، وعدم وجود اهتمام بطريقة التركيب للسياق الأكبر من الوحدات الصغيرة،[٤] وذكر أن المفسرين قد لاحظوا التكرار والتضاد والتوازي ولكن بدون تعمق في كشف صور التركيب، وفي حين أن أساس نظرية التناظر هو تحديد التكرار وطريقة ترتيبه،[٥] فهذا لا يُشكّل اختلافًا جوهريًّا بين ما لاحظه المفسرون وبين النظرية، وهذا تقاطع آخر معها، وقد ظهر في تفسير التحرير ملاحظة التكرار والعودة إليه وأثر ذلك على نظم السورة وترتيب أغراضها وتوضيح معانيها أو تأكيدها وغير ذلك. وأخيرًا يذكر كويبرس أن التناظر يكشف عن الآيات المحورية التي تحمل رسائل عالمية عقدية أو أخلاقية أو قيمية غير محددة بزمان أو السياق التاريخي،[٦] في حين أن المفسرين

(١) Ibid., p. 5-6.

(٢) The Banquet, Michel Cuypers, p. 502.

(٣) منهج البلاغة السامية في دراسة بنية القرآن الكريم، محمد المجود، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص: ٥٠.

(٤) The Banquet, Michel Cuypers, p. 494-500.

(٥) منهج البلاغة السامية في دراسة بنية القرآن الكريم، محمد المجود، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص: ٥١.

(٦) Semitic Rhetoric as a Key to the Question of the nazm of the Qur'anic Text, Michel Cuypers, Journal of Qur'anic Studies, 13.1 (2011), p. 21.

يركزون على الآيات المحيطة بالمحور وعلى أسباب النزول (الحدث التاريخي) في إعطاء المعنى، ويغفلون عن الآيات المحورية التي فيها رسائل أكثر تسامحية على حد قوله،[١] لكن الأغراض التي ذكرها ابن عاشور وانتظمت عليها سورة الروم توضح تركيز الطاهر على الآيات المحورية في السورة أو بعبارة أخرى الأغراض التي بُني عليها النص، ومعظمها تحمل في ثناياها معاني قرآنية كبرى كالتوحيد والقوة الإلهية والبعث والأعمال الصالحة والتحذير مما حلّ بالأمم السابقة.

لقد كان تقسيم كويبرس لسورة الروم الأقرب للمناسبات والأغراض المذكورة في تفسير التحرير، وهذه إشارة مهمة إلى أنه يمكن استخدام قواعد التناظر في قراءة السورة وتقسيمها، وأن قواعد البلاغة العربية التي استخدمها الطاهر تقود إلى كشف نظم السورة وترتيب أغراضها بدون تعقيدات التقسيم التناظري. إن اعتقاد كويبرس بأن علم المناسبات لا يكشف عن طريقة نظم أجزاء السورة أو بين السور، أو أنه فقط يُظهر التوازي والتكرار والتضاد وغيرها بدون تحديد طريقة النظم،[٢] يردّه ما فعله الطاهر من استخدام المناسبات المبنية على اللغة والبلاغة في تحديد أغراض السورة ونظمها واتصالها والذي يبين فعالية علم المناسبات وأساليب البلاغة في تحديد النظم إيضاح أغراضه المرادة.

(١) The Composition of the Quran, Michel Cuypers, p. 169-172.

(٢) Ibid., p. 2.

الخاتمة

نظرية التناظر كانت قد كشفت عن بعض الصور التركيبية في السور القرآنية، وأسهمت النظرية في تجاوز الأسلوب الخطيّ الدارج في التفاسير، وإن كان تفسير التحرير يظهر خطيًّا، إلا أنه في ذكر المناسبات ليس خطيًّا تمامًا؛ بل إن صور التركيب كالتوازي تظهر في المناسبات عند الطاهر، لكن السؤال الأهم: هل يفكر الطاهر في حلقات أو دوائر متناظرة أو يقسم الطاهر السورة إلى قسمين كبيرين متناظرين كما في نظرية التناظر؟ الإجابة هي لا يمكن القول بذلك؛ لكنه يذكر الأغراض الكبرى التي انتظم عليها النص مع ملاحظة مواضعها وتكرارها واتصالها موضوعيًّا وبلاغيًّا، ويربط الآيات ذات الأسلوب والغرض المتماثل، ويشير إلى مواضع تناظرها والتكرار والعودة في السورة. فهل هذا يعني وجود فكرة التناظر عند الطاهر؟ نعم؛ ويظهر هذا التناظر كما تبيّن أعلاه على مستوى الآية، والآيات في المقطع، وبين الفاتحة والخاتمة، وبين المقاطع، فهل يعود النص إلى ما بدأ به أو إلى فكرة سابقة في النص في فهم الطاهر؟ نعم؛ وهل توجد وحدات وصلية تربط بين أجزاء السورة المختلفة، وأخرى بين الأجزاء المتتالية؟ نعم.

إن الطاهر يرى أن الإعجاز في النظم يحصل في الانتقال بين الأغراض والعودة إليها عبر الكيفيات البليغة التي انتظم عليها، وهنا يكمن فهمه للنظم واتساق النص من أوله لآخره، وقد استخدم هنا المقدمة عن انتصار الروم وفرح المشركين بانتصار الفرس لدحض أفكار المشركين عن قوة الله واليوم الآخر، وهكذا ربط من خلال انتظام المقدمة بقية المقاطع، ثم نوّه بأهمية موضوع الدين القيم وكونه الدين الفطري في مقابل دين المشركين وإنكارهم البعث، ويبدو في أغراض السورة التي ذكرها رسائل القرآن وحكمه التي يخاطب بها الناس لهدايتهم. ويظهر من خلال هذه الأغراض والمناسبات أن النظائر تقدم تصورًا عن النظم، ولا تجعله يسير بخط مستقيم، ويوجد عند الطاهر تقسيم الجمل وبيان ترابطها من ناحية البلاغة والنحو وغيره، ويوجد عنده الانطلاق من الوحدات الصغيرة للربط بين الآيات، وإن بدا خطيًّا في ظاهره، إلا أن نظرة عميقة لما فعله في سورة الروم يُظهر إحاطته بالنظام الكلي للسورة عبر ربط الأجزاء ببعضها بلاغيًّا وملاحظة موضوع التكرار والعطف.

إن تتبع الصور التركيبية في القرآن سواء في التحرير أو غيره لا يعني القول بتاريخية القرآن،[١] ولا يعني أن القرآن خاضع في نظمه للبلاغة السامية، فإنه قد يظهر في القرآن من الصور التركيبية المختلفة.[٢] بالإضافة إلى ذلك فقد رُصدت في القرآن صور تركيبية لا تتبع قواعد البلاغة السامية،[٣] وهذه دعوة للباحثين وأهل البلاغة إلى دراسة قواعد التناظر وتفعليها ضمن قواعد البلاغة العربية للكشف عن نظم القرآن من داخل اللغة العربية، ودعوة لدراسة أغراض السور التي يشير إليها الطاهر في تفسيره مع دراسة المناسبات التي يذكرها ليظهر ما أسماه مبتكرات القرآن وكيفيات النظم. إن الاستفادة من نتاج الباحثين من الأمم الأخرى لا يعني نبذ الأدوات الموجودة في التراث الإسلامي للكشف عن نظم القرآن، بل يفتح الآفاق لتلاقي الأفكار والبحث في الأدوات العربية والقرآن نفسه. وإن الدراسات الغربية لا يمكنها تذوق القرآن وبلاغته وفهم أثره، لكنها يمكن أن تكون دافعًا للمسلمين للبحث في كتابهم أكثر؛ فالتذوق الذي يعيشه المسلم في قراءة القرآن نابع من اللغة العربية التي نزل بها وأصّل لها، وإن اهتمام المسلمين بالنظم وبلاغة القرآن يرد على التشكيك في المراجع الإسلامية والفهم الأصلي للقرآن، ويردّ على المطالبة بالمقارنة مع الكتب المقدسة واستخدام اللغات الأخرى لفهم القرآن ونظمه ومعانيه، وأخيرًا يذهب بالحسرة على تراجع العلوم القرآنية في الوسط الإسلامي واتهامها بالدوران في دوامة التكرار وخلوها من التجديد المطلوب والاكتشاف المرجو خاصة وأن الطاهر قد دعا لمزيد بحث في بلاغة القرآن.

(١) بعدما قارن المجود بين نظرية الفراهي ونظرية التناظر خلص إلى أن قول كويبرس بتاريخية القرآن ما هو إلا حكم مسبق (انظر: منهج البلاغة السامية في دراسة نظم القرآن الكريم، محمد المجود، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص: ٩٩).

(٢) Review Essay: Going Round in Circles, Nicolai Sinai, p.113.

(٣) Ibid, p. 115.

المراجع

البقاعي، إبراهيم بن عمر. (1987). *مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور* (عبد السميع محمد أحمد حسنين، تقديم وتحقيق). الرياض: مكتبة المعارف.

الراعوش، عماد. (1438هـ). مبتكرات القرآن الكريم عند ابن عاشور دراسة نقدية مقارنة. *مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، 6*(12)، 69-139.

الشوبكي، رانية جهاد إسماعيل. (2009). *الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير "المعاني والبديع"* [رسالة ماجستير غير منشورة]. الجامعة الإسلامية- غزة.

ابن عاشور، محمد الطاهر. (د.ت). *التحرير والتنوير* (د.ط). تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.

ابن عاشور، محمد الطاهر. (2015). *جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور* (محمد الطاهر الميساوي، جمع وتوثيق). الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع.

ابن عبد الله، محمد شكري، وخالد، نشوان بن عبده. (2015، 13-15 مارس). *أثر علم المناسبات القرآنية في التفسير المقاصدي عند الإمام ابن عاشور* [ورقة]. المؤتمر العالمي الثاني للقرآن والسنة بالجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، http://irep.iium.edu.my/59383/.

عمر، أحمد مختار عبد الحميد. (2008). *معجم اللغة العربية المعاصرة*. القاهرة: عالم الكتب.

فاتيحي، مصطفى. (2020، يونيو 14). مراعاة التركيب وأثره في بيان انسجام نظم القرآن- ابن عاشور أنموذجًا 1-3. مركز *تفسير للدراسات القرآنية*، https://tafsir.net/article/5268.pdf.

فاتيحي، مصطفى. (2020، يونيو 21). مراعاة التركيب وأثره في بيان انسجام نظم القرآن- ابن عاشور أنموذجًا 2-3. مركز *تفسير للدراسات القرآنية*، https://tafsir.net/article/5270.pdf.

فاتيحي، مصطفى. (2020، يونيو 27). مراعاة التركيب وأثره في بيان انسجام نظم القرآن- ابن عاشور أنموذجًا ٣-3. مركز *تفسير للدراسات القرآنية*، https://tafsir.net/article/5272.pdf.

الفراهي، عبد الحميد. (1388هـ). *دلائل النظام*. الهند-اعظم كره يو بي: المطبعة الحميدية - مدرسة الإصلاح.

القشيري النيسابوري، مسلم ابن الحجاج. (1955). صحيح *مسلم* (محمد فؤاد عبد الباقي، تحقيق؛ د.ط). القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

المجود، محمد يسلم. (2020، 13 يناير). منهج البلاغة السامية في دراسة بنية القرآن الكريم؛ دراسة وصفيـــة نقدية. مركـز تفسيـــر *للدراسات القرآنية*، https://tafsir.net/research/41/mnhj-al-blaght-as-samy-yt-fy-drast-bnyt-al-qr-aan-al-krym-drast-wsfyt-nqdyh.

كويبرس، ميشيل. (2019، نوفمبر 6). *البلاغة السامية في القرآن* (خليل اليماني، ترجمة). مركز تفسير للدراسات القرآنية. https://tafsir.net/translation/45/al-blaght-as-samy-yat-fy-al-qr-aan.

كويبرس، ميشيل. (2019، نوفمبر 13). *الكتاب المقدس والقرآن نسق أدبي واحد* (عبير عدلي، ترجمة). مركز تفسير للدراسات القرآنية. https://tafsir.net/translation/46/al-ktab-al-mqds-walqr-aan-nsq-adby-wahd.

اليماني، خليل محمود. (2020، مارس 8). *دراسة نظم القرآن: قراءة في المنجز وآفاق الاشتغال، مع طرح فرضية للنظم القرآني*. مركز تفسير للدراسات القرآنية. https://tafsir.net/research/43/drast-nazm-al-qr-aan-qra-at-fy-al-mnjz-w-aafaq-al-ashtghal-m-trh-frdyt-lln-nazm-al-qr-aany.

Archer, George. (2017). *A Place Between Two Places: The Qur'ānic Barzakh*. Piscataway, NJ: Gorgias Press.

Bollen, Jeanne Malaik. (2023). *« LES ROMAINS »* analyse rhétorique de la sourate 30. Academia. https://www.academia.edu/102151868/LES_ROMAINS_analyse_rh%C3%A9torique_de_la_sourate_30 .

Cuypers, Michel. (2009). *The Banquet: A Reading of the Fifth Sura of the Qur'an*. Miami: Convivium. (2007).

Cuypers, Michel. (2011). Semitic Rhetoric as a Key to the Question of the nazm of the Qur'anic Text. *Journal of Qur'anic Studies*, *13*(1), 1-24. http://www.jstor.org/stable/41352831

Cuypers, Michel. (2015). *The Composition of the Quran*. (Jerry Ryan, Trans). New York: Bloomsbury Academic. (2012).

Cuypers, Michel. (2018). *A Quranic Apocalypse : A Reading of the Thirty-Three Last Surahs of the Quran* (Jerry Ryan, Trans). Atlanta, GA : Lockwood Press. (2014).

Mubarak, Hadia. (2018), Change Through Continuity: A Case Study of Q. 4:34 in Ibn ʿĀshūr's al-Taḥrīr wa'l-tanwīr. *Journal of Qur'anic Studies*, *20*(1), 1–27. https://doi.org/10.3366/jqs.2018.0318

Sinai, Nicolai. (2017). Review Essay: Going Round in Circles. *Journal of Qur'anic Studies*, *19*(2), 106–147. https://www.jstor.org/stable/26538321

JOURNAL OF SHARIA AND ISLAMIC STUDIES

A refereed Academic Quarterly, Published by the Academic Publication Council - University of Kuwait

Surah al-Rum's Purposes and Correlations in Al-Tahrir w al-Tanwir in Comparison with Ring-Theory: An Analysis Study

Dr. Nadeen Mustafa Alsulaimi

School of Humanities and Arts - KSA

Academic Publication Council

جامعة الكويت
KUWAIT UNIVERSITY

P-ISSN: 1029-8908

E-ISSN: 2960-1479

Issue No. 144 - Volume 41

Ramadan 1447 A.H. - March 2026